النعمة والحق
9-10 Sep Oct 2011

إفتاحية العدد بقلم: لاري أوندر جاك

أهمية الأسوار والأبواب

«سور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار» (نح١: ٣)

إن الموضوع الرئيسي لسفر نحميا هو إعادة البناء كأساس للنهضة. كان لإعادة بناء السور وأبوابها غرضاً ذا شقين: هو حفظ شعب الله قريباً منه وفي نفس الوقت محفوظاً من الأعداء؛ فكان السور والأبواب معاً ضروريين وبكل أسف كانا منهارين معاً.

والسور مرتبط بأسس كتابية تنير الطريق للمؤمن في علاقته بالعالم؛ بينما تقدم الأبواب معونات للعناية الكافية لما يُسمح به بالدخول والخروج من الأمور التي من شأنها حفظ حياة المؤمن. فإذا كان السور قائماً بينما تغيب الأبواب؛ في الوقت الذي يبدو فيه المؤمن محصناً؛ والعدو يتسلل عبر الثغرات التي لا حراسة لها فهي تتيح للعدو بالدخول بسهولة ويسر. ومن الناحية الأخرى نجد أنه في غياب السور بينما تقف الأبواب في حراسة تامة فالعدو يتسلل بسهولة طالما يتحاشى الأبواب.

منذ زمن بعيد لاحظت مثلين لانهيار السور والأبواب. الأول قابلته في منزل أحدى العائلات الغنية حيث وجدت سوراً عظيماً يحيط بالمقاطعة بينما لم توجد أبواب تمنع المرور منها وكانت النتيجة أن حدائقها استغلتها العامة والكشك المعين للحراسة مع الأبواب انهارت تماماً.

والحالة الثانية كانت لمقاطعة محاطة بسور منهدم تماماً بينما رأيت عمودين يدعمان بوابه كبيرة مزخرفة ومن المضحك والمُبكي معاً أن رأيت ساعي البريد يجتاز تلك البوابة ورأيت الأطفال يمرحون بين بقايا السور المنهدم.

عزيزي القارئ؛ قد تعرف مَن يهتمون بالتعاليم الكتابية بينما يهملون في أن يحيون وكم من أشخاص يستهدفون بمبادئ الحياة الصحيحة وفي نفس الوقت يجهلون أن المبادئ الكتابية تعينهم وتساعدهم في تلك الحياة! إنه أمر هام أن نعيد بناء كلاً من السور والأبواب في حياتنا المسيحية وهما – معاً – يقودان إلى النهضة.

موضوع العدد (١) بقلم: تولين سولتر

كيف نفهم ونعي عمل نحميا؟

لكي ندرك ما تتضمنه قصة نحميا روحياً؛ نحتاج أن نضعها في قالب قصة وتاريخ الشعب. ففي (٢أخ٣٦) نجد تفصيل سقوط أورشليم في قبضة الأعداء ففي حوالي سنة ٦٠٠ ق.م سمح الرب بأن يُسبى الشعب إلى بابل لأنهم تحدوه ولم يطيعوا وصاياه (٢أخ٣٦: ١٤) فوقع القضاء والدمار والسبي «حتى لم يكن شفاء». (ع١٥-١٩) وإذ طال صبر الرب تحتم الحكم. إن كلمته التي توقعت الدينونة بفم الأنبياء قد تحققت (إر٢٥: ٨-١١).

إن هذه الأفكار المقدسة والمهيبة هي رسالة الرب لنا في هذه الأيام. فلا يجب أن نستهين بلطف إلهنا ونستخف في تعاملنا مع الخطية فغيرة الرب على قداسته لابد أن تتعامل بشدة ضد الخطية ومظاهرها حتى فيما يتعلق بأنفسنا.

كان نحميا أحد أفراد أولئك المسبيين ويعمل في خدمة الملك الفارسي أرتحشستا في البلاط الملكي في بابل. والرب استخدم الفرس ليجتاحوا البابليين بسبب أعمال القسوة والوحشية التي مارسوها. فهو – في حكمته – يستخدم أية أداة لتحقيق أغراضه ولئن غاب ذلك عن نحميا؛ فقد هيأ له عملاً لصيقاً للملك ليستخدم ذلك العمل في خلاص الشعب المُذل واستعادة مركزه. فهو – له المجد – لا ينسى وعوده (إر٢٥: ١٢-١٤) فإن كان قاضياً فهو أيضاً مخُلِّص. فقد وضع الشعب في مكان حيث يستطيع أن يستخدمهم وإذ نستبقي هذه الخلفية في أذهاننا؛ فدعنا – عزيزي القارئ – نخصص العمل العظيم الذي عمله نحميا لنفوسنا في أيامنا هذه.

– الواجب:

هناك الكثير من الشعب الذي يعلم الحالة التي كانت عليها أورشليم. فهناك الذين لازالوا أحياء (١: ٣) الذين شاهدوا بدايات إعادة البناء أيام كورش وعزرا (عز١:١، ٣: ١-٣، ٣: ١٠، ١١، ٤: ٢٤، ٦: ١٤-١٦) ولئن كان الهيكل قد اكتمل وتم تشغيله جزئياً إلا أن أسوار حماية المدينة كانت منهارة وإن كنا لا نعرف كثيراً عن البقية التي كانت من حين إلى آخر ترجع إلى أورشليم إلا أننا رأينا وفهمنا أثر التقرير الذي قدمه حنانيا إلى نحميا إذ جعل نحميا الغيور ينوح ويتذلل أمام الله أياماً (نح١: ٤).

نرى في نحميا مثالاً لمن يبحث عن إرادة الله من مكان مهوب ويبحث عن شعبه فلم يقنع بعدم المعرفة بل سأل بكل صدق وقارن بين ما صار إليه الحال مع ما يجب أن يكون فالمدينة التي كان يجب أن تعلن مجد الله منهدمة (١: ٣) وإذ قضى وقتاً طويلاً مع الرب عن الأسوار المنهارة أصبح واجبه «ما جعله إلهي في قلبي لأعمله في أورشليم» (٢: ١٢).

بعد أن هز الرب قلبه؛ استخدمه في الحال. إن معنى اسمه "عزاء الرب" وهكذا كان فعلاً وحقيقة. إن صقل أحاسيسه الروحية أصبحت القوة الدافعة لحياته العملية. وبقدر ما كان يخضع لحالة الانكسار أمام الله بهذا القدر عينه كانت تتضح أمامه الرؤية الصحيحة لأمور الله. كان لديه التقدير الصحيح للتكلفة وكان مستعداً للتضحية لإتمام عمل الله.

– شجاعة الإيمان:

بعد أن عيّن للملك زماناً (٢: ٦) ضحى بوظيفته الملوكية ليقوم بعمل شاق لارتباطه بالشعب وبينه وبين أورشليم مسافة٨٠٠ ميل حيث الأسوار المنهارة إلا أن إعادة البناء بدأت حينما قرر في قلبه ذلك. ونقرأ أنه كان يصلي واستعاد كلمة الرب لموسى «فمن هناك أجمعهم وآتي بهم إلى المكان الذي اخترت لإسكان اسمى فيه» (١: ٩) فهل نطيع صوته؟!

أحس نحميا بالحاجة الملحة. فذهب بها أولاً إلى الرب وأعد نفسه لمواجهتها وتحملها واستمر في عمله؛ يحمل الخمر ويعطي للملك منتظراً توقيت الرب حاملاً أيضاً «حِمل» الرب. ودائماً يكون الانتظار هو طريق الرب لنتمم عمله ولا يعني ألا نفعل شيئاً! إن ساقي الملك كان تحت ملاحظة الملك حيث وجده أميناً ونشيطاً في عمله فاكتسب تقديره وثقته.

بعد شهور من حمل مسئولية عمل الرب أظهر – له المجد – كآبة قلب نحميا في عيني الملك. وهو قد صام منفرداً (مت٦: ١٦–١٨) وكافأه الرب بفرصة ثمينة. وحينما سأله الملك أسئلته الثلاث لماذا؟ ماذا؟ كيف؟ (٢: ٢، ٤، ٦) كانت إجابته جادة وحاسمة وإن كان لديه خوف. إلا أنه أظهر إيمانه العظيم بالرب فطلب من الرب وكذلك من الملك أن تتهيأ له مستلزمات واحتياجات الرحلة لإعادة بناء أسوار أورشليم (٢: ٣–٥).

كثيراً ما ينتابنا الاندهاش والخوف حينما تواجهنا مواقف روحية الأمر الذي نلمسه في العهدين القديم والجديد على حد سواء (خر٣: ٦، ١أخ١٣: ١٢، مر١٦: ٦، لو٢: ١٠) بعد أن تيقن

نحميا بأن الرب هيأ الطريق له لإتمام المسئولية والعمل المنوط به قال: «فأعطاني الملك حسب يد إلهي علىّ» (٢: ٨) وإذ تسلح بخطابات واحتياجات العمل بدأ رحلة الإرسالية الإلهية.

– عمل الله:

ترك وظيفته المرموقة التي تحيطه بالأمان وذهب إلى أورشليم. وبعد ليلة قضاها في استكشاف السور بقي عبء العمل سراً كامناً بينه وبين الله ولم يستخف بالجهد المطلوب مع توافر المشورة الإلهية في قلبه. كان هناك الكثير من اليهود ساكنين في أورشليم بخرابها ولكنه – وحده – تلقى من الرب شرف حِمل إعادة البناء. لقد أيقن التكلفة بدراسة ذلك الاختيار مستعيناً بمشورة الرب فقط.

لم يعلن نحميا خطته في العمل للرجال القليلين الذين عاينوا معه حالة الأسوار (٢: ١٢) إلا أنه أوضح لهم الحاجة الملحة والثقة بالرب الذي يدعو للمشاركة في ذلك العمل كما وأنه – إلى ذلك الوقت – لم يخبر اليهود والكهنة والأشراف والولاة (٢: ١٦) بل كان الإعلان عن خطة العمل تم لفريق العمل الذي تحّمل العبء. إن التسرع والاندفاع في عمل الرب يؤدى إلى الفشل والانهيار أما الباني الحكيم فيحتفظ بعلاقته بالرب (رو١٣: ١–٥).

إن كلمة «أتفرس» أي «أمتحن» (٢: ١٣، ١٥) تعبير طبي يُعني جس وفحص الجرح لتحديد درجة قوته. وخلال ذلك كان الرب يعمل في قلوب فريق نحميا ليبلغوا درجة اهتمامه وغيرته. إن مثل ذلك الاهتمام يؤدي إلى تعهّد وها نحن نرى القائد يشير إلى الحاجة الملحة ويشخصها بقوله: «أنتم ترون الشر الذي نحن فيه كيف أن أورشليم خربة وأبوابها قد أحرقت بالنار» (٢: ١٧) وحينما دعاهم للعمل معه كان ردهم إيجابياً وحازماً «لنقم ولنبن» (٢: ١٨) وإذا استخدم رجل الله وسائله المتاحة للقيام بالعمل الجاد لم ينزعجوا وينحرفوا بتأثير سخرية الأعداء «هزأوا بنا واحتقرونا» (٢: ١٩) وما كان يعنيهم ويعينهم كلمات رجل الله وقادتهم الذين عينهم لهم.

– البناء مع الآخرين:

«هلم فنبني» هكذا قال لهم مشجعاً وكانت استجابتهم «لنقم ونبني» (٢: ١٨) وقال مرة أخرى – في إيمان وتحدٍ في العمل – «نحن عبيده(الرب) نقوم ونبني» (ع٢٠) وفي استجابة

الرب للصلاة أعطى الرب لنحميا قوة للعمل وفريق من البنائين مع شجاعة. وفي الإصحاح الثالث نجد تلخيصاً لعمل إعادة البناء.

استلزم عمل الرب عملاً شاقاً قام به الكثيرون. ونتعلم من ذلك الإصحاح أنه إذا كان الرب يعمل فلا داعي لنا لكي نعمل فهو في الحقيقة يعمل – له المجد– في إعادة بناء سور أورشليم بواسطة عرق وكفاح وقوة شعبه. ونلاحظ أن كلمة بناء ومشتقاتها ترد ٤٢ مرة في ٣٢ عدداً. كما ونجد كلمة «بجانبه» برهاناً لأهمية وجدية البناء. فأية ثغرة في السور تعني فشل عمل البناء. وهذا يقودني للتعليق عن مشاركة الكنيسة المحلية كما نراها في (أف٤: ١١، ١٢، ١٦) حيث نقرأ: «يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة». وتحت قيادة الرب تتوزع مسئوليات العمل بين قادة الخادمين العاملين.

وهناك فكرة هامة نجدها في أن كل عمل في إعادة البناء نقرأ «مقابل....بجانب بيته....وبعده» إن عمل الله يجب أن يبدأ من البيت ومنه يمتد ومن هذا المبدأ نفهم محبة الجار (القريب) وهكذا يجب علينا إعادة البناء في الشارع وقاعات الدرس ومكاتب العمل والشركة أو حتى أماكن السجون وحيثما يضعنا الرب.

كما ونجد في (ص٣) درساً آخر إذ أن العمل قام به «الكهنة...الصائغ...الصباغون والتجار» فلم يعترض أحد بالقول "ليس ذلك عملي" أو "لا أستطيع أن اترك عملي الخاص". فولاة كثيرون وأبناء القادة وجموعهم نظير باروخ الذي «رمم بعزم» (ع١٧) وذلك كأمثلة لأولئك الذين يعملون لمجد الرب. ومن الجانب الآخر نجد أن بعض الشرفاء ظنوا في أنفسهم أنهم في مركز أسمى فكانوا خطراً على إعادة البناء إذ نقرأ: «أما عظماؤهم فلم يُدخلوا أعناقهم في عمل سيدهم» (٣: ٥) فوضعوا مراكزهم فوق خدمة الرب.

كان سور أورشليم تجسيداً لعمل جماعي شمل الكثير من العاملين معاً بجديته. فالبعض أعاد بناء ما أنهدم والبعض الآخر بنى دليلاً للشجاعة وبروح الجماعة. وهذا يعطينا مثالاً لعملنا في اجتماعاتنا اليوم. لماذا لا يكون بقليل من الاهتمام يعمل ما هو قديم مع ما هو جديد معاً للمنفعة؟

– <u>في مواجهة المعارك والمقاومات:</u>

في الاصحاح الرابع – من سفرنا – نجد أول ذكر للمقاومة وقد امتدت واتسعت بعد ذلك فقد استخدم الشيطان أُناساً من الخارج ومن الداخل كقوة لتعطيل عمل الرب. وفي (مت٤: ١-١١) نجد أن السيد – له المجد – جُرَّب من إبليس في بداية حياته الجهارية، وعند هجومه تذّكر – عزيزي القارئ والكاتب معاً – أن الروح القدس والكلمة هما أسلحتنا للحماية والدفاع في مصارعتنا الروحية (أف٦: ١٠-١٨) وإنني أجد في نحميا الكثير من تلك المصارعات.

١. البشر مقابل الرب:

أما أولاً فإننا نجد أن سنبلط وطوبيا كانا يفكران فيما يختص بالملك حيث أن قلب نحميا وفكره كان مثبتاً على إله السماء (٢: ١٩، ٢٠). وخدامه يجب أن يكون هو – له المجد – نصب أعينهم (عب١٢: ٢، ٣) إن نظرة العالم للأمور تختلف عن نظرة الرب.

٢. السخرية في مواجهة إعادة البناء:

التحدي الثاني كان أساسه السخرية (٤: ١-٦) كان ما سمعه سنبلط وطوبيا صحيحاً وكان صداه قد كشف عن رغبتهما في مقاومة عمل الرب. وبدا منهما ملاحظات تهكمية ضد نحميا وفريق العمل معه وما يقومون به ليحولوا نظره بعيداً عن الرب لأمور جانبية وكأن بهم في عملهم الدءوب اكتسبوا موقف السيد –له المجد – «لم يحسب خلسة» و«أخلى نفسه» (في٢: ٥-٨) ولا ننسى أننا تم تحذيرنا بأننا سنلقى اضطهاداً (مت٥: ١٠، رو٨: ٣٥-٣٧) وهو تصدي لذلك بالصلاة للاستمرار في إعادة البناء بالرغم من تلك المقاومات (٤: ٤-٦).

٣. تحالف الشر تهزمه الحراسة الفعالة:

كان ذلك التحالف هو التحدي الثالث إذ أن الأعداء «تآمروا... ويحاربوا...ويعملوا ضرراً...ونقتلهم ونوقف العمل» (٤: ٧-١١) وإذ بدا ذلك خطيراً إلا أن نحميا واجهه بالصلاة مع إقامة الحراسة ولم يكن ذلك لضعف الإيمان ولكنه كان إدراكاً روحياً بأنه سيتشجع به جموع العاملين حيث قرروا بأن يضعوا الأمر بين يدي الرب في نفس الوقت تعمل أيديهم عمل الرب بنشاط.

٤. تهديدات البشر في مقابل مواعيد وتأكيدات الرب:

أما رابعاً فكان التحدي ظهر في التهديدات التي تثبط العزائم (٤: ١١-٢٣) وفي مقابله ذلك كان قول نحميا للعاملين «أذكروا السيد العظيم المرهوب» (٤: ١٤) وإذ ثبتوا أنظارهم على الرب فإن الشعب احترز واستمر في العمل (٤: ١٦-١٨) فلو توقف العمل لأُحتسب ذلك نصراً للعدو. إن نشاط وحيوية رسالته وقدوته أشعلت الثقة في نفوس فريقه (٤: ١٩-٢٣).

٥. عرض للتفاوض في مقابلة مع الإيمان:

وهذا التحدي ظهر حينما عرض سنبلط وجشم رفيقه على نحميا خطتهما البديلة «هلم نجتمع معاً» (٦: ٢) إلا أنه رأى أنهما «يفكران أن يعملا به شراً» (٦: ٢). إن إحدى علامات النضج الصحيح فيمن يعمل بجدية هي المقدرة بأن يقول "لا". ومثل تساقط الماء كان الهدف من الإصرار على المقاومة من قِبَلهما هو قبول نحميا للتفاوض.

وفي المبالغة الشرسة لدفعه للتراجع والندم كانت رسالتهما إلى نحميا. ويصبح جموع العاملين هدفاً للأعداء بعد تخاذله. إلا أنه من جانبه كانت صلاته «يا إلهي شدد يدي» (٦: ٩) إذ أيقن أين يجد القوة الحقيقية.

٦. الخوف في مقابل الإيمان:

وهنا نجد آخر التحديات كما نقرأ في (٦: ١٠-١٤) وكان البديل الروحي الذي قام به نحميا «دخلت بيت شمعيا بن دلايا...فقال (شمعيا) لنجتمع إلى بيت الله...لأنهم يأتون ليقتلوك» (٦: ١٠) فقد كانت حياته في خطر؛ إلا أنه بفطنة روحية أدرك بأن ذلك كان نبوءة كاذبة (٦: ١٢، ١٣) كان يعلم بأن الله يستطيع أن يتكلم بواسطة نبي وفي نفس الوقت يدرك بأن كل نبي ليس من الله (٦: ١٤، ١يو٤: ١). وفي استجابة للصلاة – وقد أيقن بأن الله كان في العمل –كل ذلك أعانه ومعه فريقه لإتمام العمل «في أثنين وخمسين يوماً» (٦: ١٥، ١٦) إن أفضل وسيلة لنهزم العدو هو أن نعمل بإصرار لإنجاز العمل.

النتائج الملموسة:

كان السور شهادة لله؛ شاهده وقدرّه الأمم المجاورة «ولما سمع كل أعدائنا ورأى جميع الأمم الذين حولنا سقطوا كثيراً في أعين أنفسهم وعلموا أنه من قِبَل إلهنا عُمل هذا العمل» (٦: ١٦) ونظير بولس فيما بعد، فإن نحميا وبناة السور معه يستطيعون أن يقولوا «فبكل

سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل علىّ قوة المسيح لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي (٢كو١٢: ٩، ١٠).

موضوع العدد (٢) بقلم: ديفيد.ر.رايت

بناء السور مع نحميا

«فقالوا لنقم ولنبن. وشددوا أياديهم للخير (للعمل الصالح)» (نح٢: ١٨)

هل بناء الأسوار عمل صالح أم أنه عمل رديء؟ فإن كنا نقوم بذلك لنعزل أنفسنا عمن حولنا فنعيش في عزلة وانغماس في ذواتنا فذلك يعني أنه شيء رديء. أما إذا كان الهدف هو تعزيز موقفنا وحمايتنا من خطر وشيك فإن ذلك عين الصواب. إن البناء في هذا المفهوم هو غرض سفر نحميا؛ ومنه نتعلم بأن الرب يريد أن المؤمن الناضج يهتم ويقوم ببناء سور روحي ونرى في إعادة نحميا بناء أسوار أورشليم في يومه الكثير مما نتعلمه عن بناء أسوار روحية في حياة المؤمن في أيامنا.

بعض الخلفيات:

إذ كان اليهود في مملكتي إسرائيل ويهوذا تحت الاحتلال البابلي وقد شارفت سني السبي السبعون على الانتهاء وقعت الأحداث المذكورة في سفر نحميا. كان البعض من المسبيين قد عادوا إلى أوطانهم تحت قيادة زربابل وعزرا. وكان إعادة بناء الهيكل قد تم بعد سنوات من التأخير في العمل. إلا أن الأسوار التي كانت تحيط بأورشليم كانت لا تزال مدمرة ومنهارة. وقبل ذلك بحوالي ١٠٠سنة اجتاح نبوخذ نصر والغزاة البابليين المدينة ودمروا كلاً من الهيكل والأسوار.

وتمثلت آثار ذلك الدمار فيما شوهد من أعمدة أثريه تحيط بالمدينة ومن هنا (حوالي٤٤٥ق.م) حث الله قلب نحميا ليحث ويحشد الكثير من الشعب لإعادة بناء سور أورشليم. وسجل في سفره كيف أن الرب بارك ذلك المشروع وأكمله في زمن قياسي فبالرغم مما اعترضه من معوقات شرسة ومواقف عنيفة استكمل العمل في مدة (٥٢يوماً) (نح٦: ١٥). وبعض بقايا تلك الأسوار قائمة اليوم ضمن آثار وحفائر أورشليم القديمة.

لماذا سجل الوحي الإلهي هذا السفر؟

لم يكن القصد الإلهي من ذلك أن يحدّثنا بطريقة مثيرة ودقيقة عن كيف تم إعادة بناء السور في القرن الخامس قبل الميلاد. فهناك الكثير من الدروس الهامة لمؤمني القرن الحادي والعشرين إذ أن بناء الأسوار الروحية هو نمط وخارطة الطريق. فالله يريد أن تكون مدينة هيكله قوية ومحمية فهو يريدنا أن نكون أقوياء في الإيمان ونحترس في محاربتنا الروحية مع الشيطان.

وتعلمنا كلمة الله أن كل مؤمن هو هيكل للروح القدس (١كو٦: ١٩). وإن كان ليس كل منا قوياً وذا أسوار منيعة. ففي الحقيقة بعض المؤمنين يشبهون بعض الشعب في أيام نحميا؛ قانعون بالعيش وسط أسوار منهارة. فكيف–الكاتب والقارئ معاً– حال أسوارنا الروحية؟ إن بناءها ليس بالأمر السهل فهناك معوقات ومواجهات مع العدو يجب الانتصار عليها وعلى الطريق – أيضاً – هناك مثبطات وشكوك كذلك. ونجد كل هذه العوائق بإسهاب في سفر نحميا وبخاصة في الإصحاحات (٤–٦) إلا أن شجاعة إيمان نحميا تجلت في أن الأسوار الروحية المنيعة يمكن إقامتها كما أن الرب سيبارك كل مجهود يُبذل في ذلك الطريق.

ما المقصود بالأسوار الروحية؟

إنها ببساطة تتعلق بقوة وثبات شهادة المسيحية. وهي مرتبطة بمقدرتنا لحماية الإيمان. كما أنها – الأسوار الروحية – تتوقف على مقدرتنا للانفصال عن القيم غير الكتابية والروح العالمية. وقبل عصر المدنية؛ دعنا – عزيزي القارئ – نقارن بين مدينة مسورة وتلك التي بدون أسوار فالأولى تبدو أكثر قوة ومحصنة ويسهل الدفاع عنها. شامخة ولو عن بُعد. وأسوارها تفصلها عما حولها. وهذا ما يريد الرب أن نكون عليه. فهو يريدنا أن نكون أقوياء وثابتين في شهادتنا الواضحة واللامعة وسط ظلام العالم. وأن يكون لنا أسلوب حياة متين يرتكز على المبادئ الكتابية التي تهدف ببساطة إلى انفصالنا عن مبادئ وأسلوب العالم الذي يحيطنا. هل نريد أسوراً منيعة أم نقنع بالعيش وسط المدينة الركام؟

١. الاهتمام مبدأ للبناء:

تشتمل الإصحاحات الثلاث الأولى من سفر نحميا عدداً من الأسس الحيوية واللازمة لبناء أسوار روحية في حياتنا. ففي الإصحاح الأول نجد عنصر الاهتمام. فحينما علم بأسوار أورشليم المنهدمة غمره القلق. فلم يكتفي بمعرفة ذلك التقرير فصداه في نفسه أنه جلس وبكى

وناح وصام(١: ٤) ونحن بدورنا نفعل ذلك إن كنا نريد إعادة بناء أسوارنا الروحية. هل نبكي حينما لا نستطيع صون إيماننا بسبب نقص مخزي لمعرفة وفهم كلمة الله؟ هل نقاوم ونهزم الأمور التي تساهم وتعزز حالة الانكسار لموقف أسوارنا الروحية؟

إن اهتمام نحميا بالمشكلة الحادثة في أورشليم نراه بأكثر وضوح في إرادته وعزمه على الذهاب ليعمل عملاً ما في هذا الشأن– (لا أقصد مجرد طلبته في صلاته التي نراها في (ص١: ١١، ٢: ٤–٦). كان حينذاك في شوشن– عاصمة إمبراطورية فارس– بما يقرب من ٨٠٠ ميل من أورشليم. إلا أنه لم يسمح بأن تكون تلك المسافة الشاسعة عائقاً أو تقلل من اهتمامه. وبالرغم من وظيفته المرموقة في قصر إمبراطور فارس كيهودي؛ فقد ضحى بكل ذلك من امتيازات لأجل أمور الرب والسور المنهدم.

فهل لدينا التقدير الكافي لأسوارنا الروحية حتى نضحي بمباهج العالم لنقيم أسواراً منيعة لحياتنا؟ ولنعلم أن الوقت والجهد الذي نبذله لأجل أمور الرب هي نتيجة لتضحياتنا بأمور زمنية نظير المركز أو الثروة. وأرجو –عزيزي القارئ وأنا معك– أن نتأمل حياة القديسين رجالاً ونساءاً الذين نعرفهم. كم ضحوا بالكثير لبناء أسوار روحية منيعة في حياتهم الشخصية ومع أصدقائهم وبين كنائسهم؟

٢. البناء أساسه الاعتراف:

مبدأ آخر نجده في طريق بناء السور موضحاً في الأصحاح الأول من سفرنا هو الاعتراف. لماذا أعلن نحميا اهتمامه بالسور في صلاة الاعتراف؟ (١: ٥–١١). فقد أيقن بأن تدمير أورشليم وسورها كان بسبب خطيه إسرائيل بابتعادهم عن الرب (١: ٧). ولاحظ –عزيزي القارئ – بأن نحميا لم يشترك مع مَن اتجهوا لعبادة الأوثان؛ ربط نفسه مع الأمة في خطاياها (١: ٦). ولنتحول إلى نفوسنا؛ أليس بسبب انسياقنا وراء أصنام نظير المادة والفلسفة الإنسانية فإن أسوارنا الروحية منهارة ومدمَرة؟ هل لدينا الرغبة والإرادة أن نحسب أنفسنا ضمن هذه المشاكل ونعترف باقترافها؟ سواء كان ذلك على المستوى الفردي أو العائلي أو كجماعة فإن إعادة بناء أسوارنا الروحية لا تبدأ إلا بالاعتراف أولاً.

٣. أساس البناء هو التحدي:

وهنا نجد الأساس الثالث لبناء السور ألا وهو مواجهة الموقف. حينما وصل نحميا إلى أورشليم ذهب مباشرة لمواجهة ومعاينة السور المنهدم وفكر عميقاً لتقدير مدى الدمار حتى استطاع أن يحدد الخطة اللازمة لإعادة البناء (٢: ١١-١٥). وبعد ذلك واجه الشعب بعزيمة لإعادة بناء السور ثم أحسوا باللوم والعار (٢: ١٦-١٨) وتصوّر معي – عزيزي القارئ- كم كانت تهزأ بهم الشعوب المحيطة؛ كشعب يقنع بالعيش بين تلك الأطلال التي كانت يوماً أورشليم الجميلة أيام الملك سليمان. وتأكد نحميا بأن الشعب أدرك أن الرب كان خلف عمل البناء. وأخيراً واجه نحميا مقاومة الأعداء (٢: ١٩، ٢٠) وبالرغم من الاحتقار والهزء طلب نحميا من الرب بكل شجاعة ويقين؛ النجاح إذ أدرك بأنه سيعطيهم القوة والمعونة للقيام وإتمام خطة عمل إعادة البناء.

ولم تتغير مبادئ الرب للعمل بعد أكثر من ٢٤٠٠سنة. فأسس ومبادئ مواجهة التحديات يجب ممارستها حتى اليوم. فإذا كانت أسوارنا الروحية في حاجة إلى الترميم فيجب مواجهة ذلك بثبات وعزم لا يلين. وإذ نرى مدى الدمار الحادث يجب علينا وضع وتنفيذ خطة لإعادة البناء. وهل نشكو من تجربة جسدية بسبب ما يملأ أفكارنا وميولنا؟ إن المواجهة الحاسمة ستؤدي إلى استئصال عادات غير صحيحة حتى يمكن أن نبدأ عملية إعادة البناء. هل التراخي يسمح بوجود ضعف روحي في حياتنا؟ وفي الحقيقة فإن الموجهة الصارمة تقودنا لحماية أكبر لنظام الحياة حتى يمكن أن نبدأ إعادة البناء وتذكر –عزيزي القارئ – بأن هذا الأساس اللازم للبناء يؤثر في مواجهة الأساليب الشيطانية التي تُستخدم لتعطيل المؤمن عن البناء. إلا أنه عند توافر الرغبة والإرادة لدينا للبناء؛ فإن الرب يعلن لنا ويقودنا في طريق النصرة على تلك المعطلات.

٤. <u>الغرض من البناء هو الاستمرار حتى النهاية:</u>

في الإصحاحات الثلاث الأولى من سفرنا نجد المبدأ الأخير من بناء السور ألا وهو إنشاؤه مُستكملاً. والإصحاح الثالث ليس مجرد تجميع لأسماء رنانة في العهد القديم. فهناك دروس روحيه لتلك الأسماء التي يحتويها ذلك الاصحاح التي تبدو جلية لكل قارئ متأمل. لكل من تلك الأسماء مهام محددة تتفاعل معاً وتعمل على مشروع إعادة بناء السور. ولم تكن تلك المهام محصورة في نجارين وبنائين بل أيضاً حدادين وعطارين

ووظائف إدارية ولاويين وكهنة وخدام للهيكل وتجار. إن بناء الأسوار الروحية هي مسئولية كل فرد فهي ليست محصورة بين المبشرين ورجال الإرساليات الخارجية.

ولاحظ – عزيزى القارئ – تكرار ذكر كلمة "مقابل" و" أمام" مرات كثيرة خلال الإصحاح نظير (ص٣: ١٠، ٢٣، ٢٨، ٢٩) فمَن يسكن بجوار السور قام بالبناء بالقرب منه قبل أن يتقدم آخر بجوار أو قسم آخر. وهذا يعني أن نهتم ونتأكد ببناء أسوارنا الروحية شخصياً قبل أن نعتني بالبناء في بيتنا أو الجماعة أو خلافه. فمثلاً هل نعتاد أن نمارس أسس البناء الروحي الشخصي في أوقات وفترات كثيرة مع كلمة الله وفي صلاتنا؟

فلنمارس هذه جميعها معاً دفعة واحدة:

هناك ملاحظة هامة عن بناء السور في الإصحاح الثالث وهي جديرة بالاهتمام ألا وهي استكمال البناء دفعة واحدة إذ أنه باكتمال جزء منه يكون قد تم البناء في جزء آخر فنشاط البناء حول المدينة كان يتم في وقت واحد. هذه حقيقة صحيحة فيما يتعلق ببناء الأسوار الروحية. فحالما نقوم ببناء سور "مقاومة التجربة" نتجه إلى مرحلة أخرى وهي ما يُطلق عليها "نمط نشاط البشارة" فنحن لا نمارس دراسة كلمة الله كجزء من الأسوار الروحية وفي نفس الوقت نستبعد الصلاة ومجالات الخدمة المسيحية كلا، فعلينا أن نعملها معاً وفي نفس الوقت. إن توازن الحياة المسيحية من الأهمية بمكان لبناء أسوارنا الروحية.

إن بناء أسوار روحية متينة ومنيعة ليس أمراً سهلاً ولكننا في نفس الوقت نستطيع القيام به. وهو لنا تحدي نتعلمه من نحميا. ليتنا لا نقنع ونقبع مع أسوار منهدمة بل دعنا – عزيزي القارئ والكاتب معاً – نظير نحميا ورفاقه في بناء السور تتشدد أيدينا للعمل والنجاح فيه. لنقم ونبني!

موضوع العدد (٣) بقلم: هانك بلوك

رسائل نحميا الخمس لأيامنا الحاليه

«كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا» (رو١٥: ٤)

--

ما حدث خلال الفترة من ٤٤٦-٤٣٤ق.م

كانت لنحميا رسائل خاصة لبقية اليهود المسبيين في أورشليم بدافع قوي وحيد ألا وهو قوة الرب وقيادته. وشجعهم على إعادة بناء سور أورشليم لمجد الرب ولحمايتهم (ص١-٦) وتحقيق سلسلة النسب(٧) والرجوع إلى الرب الإله وشريعته بالتوبة والاعتراف وقطع العهد بطاعته (٨-١٠)، يدخلون ليتمتعوا بميراثهم (١١-١٢)، الانفصال عن العلاقات غير المقدسة وآثارها (١٣).

وكانت نتائج ذلك كله رائعة كما سجلها السفر. ومن البديهي أن العمل تم بصورة رائعة لأن نحميا كان خادماً مكرساً (١-٦) باتكاله الكلي على سيده (١: ١١، ٢: ١٨، ٧: ٥) ودلالة تاريخه وإنجازاته الروحية تعطينا دروساً هامة.

ونحن الآن في عام ٢٠١١ بعد الميلاد:

ماذا عن نحميا؛ الرجل ورسالته، تمثل لنا اليوم؟ يذكرّنا الرسول بولس بأن العهد القديم كُتب لأجل تعليمنا (رو١٥: ٤) بينما كلمات نحميا في تقرير سيرته ليست موجهة لنا؛ إلا أن خصائصه وأعماله لازالت تشع وتتوهج عبر التاريخ. ومن الواضح؛ حقيقة فلا يمكن الفصل بينه وبين رسالته ومهمته لأنه تجسيد لهما ومثال يُحتذى.

١. رسالته تعلن عن توافقه ومشاركته مع فكر الرب:

«يَا سَيِّدُ، لِتَكُنْ أُذْنُكَ مُصْغِيَةً إِلَى صَلاَةِ عَبْدِكَ وَصَلاَةِ عَبِيدِكَ» (١: ١١) لقد كان رجل صلاة (١: ٤-١١، ٢: ٤، ٤:٤) ومجتهداً في عمله (٢: ٩) فكانت تصرفاته تتجه وتعمل في توافق مع فكر الرب إلهه (٢: ٤، ٢٠، ٤:٤، ٩، ٧: ٥) وهو في ذلك جزء من سحابة الشهود

التي يجب أن يتبارى بها المؤمنون (عب١٢: ١) إن أهمية التوافق والشركة المستمرة مع مخلصنا وسيدنا فائقة جداً. إن الصلاة المقرونة بالخضوع لإرادته وبمعونة كلمته التي ننهل منها دائماً؛ جميعها أسس هامة ليمنحنا الرب فكره وتوجيهه لحياتنا.

٢. رسالة مبنية على الاعتراف:

«أَنَا وَبَيْتُ أَبِي قَدْ أَخْطَأْنَا» (١: ٦) لقد أعترف بخطايا بني إسرائيل كخطيته. أعتبر نفسه جزءاً من المشكلة التي بسببها وقع السبي البابلي والحالة الحزينة الحالية (١: ٦-١٠) وانضم إلى الأمناء الذين يريدون مخافة اسمه (١: ١١) ويا له من درس عميق! فجميع المؤمنين الذين يشكلون جسد المسيح (رو١٢: ٥) يدركون مسئوليتهم عن فشل الشهادة حالياً. إن حالة الضعف التي تنتاب الكنيسة ككل هي نتاج ضعفنا كأفراد في مجموعنا.

لقد انجذبنا – بطريقة أو أخرى – وانصرف اهتمامنا لأمور غيّرت اتجاهنا بعيداً عن الرب يسوع. وذلك لعدم تقديرنا لمحبة الرب وطاعة كلمته. يجب على المؤمنين أفراداً أن يتواءموا معه ويعترفوا بأن الكنيسة في فشل حالياً ونحن لنا نصيب في ذلك. وحينئذٍ فقط نصبح كنحميا كجزء من أقلية مكرسة التي تريد أن تتبع الرب من قلب نقي (٢تي٢: ٢٢).

٣. رسالته الثالثة ومعاينة الحالة:

«ثم قمت ليلاً ...وصرت أتفرس في أسوار أورشليم» (٢: ١٢، ١٣).

لاحظ الملك حال خادمه وسأله لماذا هو مُكمد؟ والعرف جرى في تلك الأيام أن مثل هذا الحال في حضرة الملك يكون الحكم هو بالموت. وإذ أدرك نحميا خطورة الموقف وبثقته بإلهه أعطى الملك شهادة صادقه عن حقيقة ما يعتمل في قلبه(٢: ٣).

أما الملك فإذ حسن الأمر لديه، أرسله وسأله عن وقت سفره لاكتمال مشروع إعادة البناء ومتى يرجع وقد كان نحميا وقد قدّر من قَبلُ جسامة العمل استطاع أن يعطى الملك إجابة محددة وطلب حماية عن طريق سفره إلى يهوذا وعلاج أية معوقات تصادفه في أورشليم (٢: ٦-٨) وكان كل ذلك إجابة وافية لتساؤل الملك. ولباها الملك في الحال. وحالما وصل أورشليم انتهز فرصة هدوء الليل ليستكشف انهيار السور والدمار (٢: ١٢-١٥) وكيف يواجه الشعب بمشروع البناء الهائل من واقع الدمار الذي رآه؟ ومما أعانه على ذلك يقينه أن يد الله كانت عليه (٢: ٨، ١٨).

وهنا نجد رسالة مجيدة تجسدت في ذلك الرجل. فنظيره نحن نحتاج إلى موقف مبني على الاتكال الكلي على الرب حينما نواجه موقفاً قاهراً أو ما يبدو حاجزاً منيعاً وحينئذ نقدر أن نتوقع ونختبر معونة الرب وعنايته.

٤. رسالته الرابعة؛ إقامة البناء:

«أنتم ترون الشر الذي نحن فيه...هلم فنبني سور أورشليم» (٢: ١٧).

يعطينا إعادة بناء سور أورشليم على الأقل درسين هامين. فالهدف كان البناء. وكان نحميا بناءاً ولئن كنا لا نعرف إن كان قد قام بنقل الحجارة ولكنه بكل تأكيد تشارك مع العاملين وكان يشجعهم «إِنَّ إِلهَ السَّمَاءِ يُعْطِينَا النَّجَاحَ، وَنَحْنُ عَبِيدُهُ نَقُومُ وَنَبْنِي» (٢: ٢٠) وبالرغم من أن الشعب كان في حزن وعار (١: ٣) فغيرته وقدوته منحتهم التشجيع حتى أنهم أكملوا العمل في أثنين وخمسين يوماً (٦: ١٥).

ونتذكر أيضاً مواد البناء التي استخدمها سليمان في بناء الأسوار والأبواب (١مل٣: ١) التي وجدها نحميا منهارة (٢: ١٣) ومتفرقة (٤: ١٠) حتى إن استخدامها في إعادة البناء كان مشكلة قوية. وإذ استخدمها العاملون في إعادة البناء صاروا في فرح عظيم (٢: ٤٣).

وأحد الدرسين الهامين – السابق الإشارة إليهما – كيفما كان الدمار عظيماً فإن تلك البقايا يستطيع الله أن يستخدمها في إعادة البناء. إن الشهادة المسيحية في أيامنا تبدو خربة في أماكن كثيرة. ونستطيع أن نتبين الدمار الذي يسببه الفلاسفة (كو٢: ٨) والخزي الذي ينتاب الكنيسة الممزقة ووسط هذه الأجواء فإن غير المؤمنين يناهضون ويدمرون كل ما يعلن عن الله وشهادته. وحينئذٍ فالمؤمنون الناضجون عليهم أن يقيموا الأسوار لحمايتنا ولفصلنا عن العالم بواسطة تعاليم ربنا يسوع المسيح التي نادى بها الرسل. فيجب إقامة السور بأبوابه وعوارضه فينشئ الرب نهضة خلال خدامه المكرسين.

وكمبدأ عام؛ فإن السور يعني الحماية والانفصال عن العالم بينما الأبواب والعوارض تتيح للنفوس الدخول وأن يخرج المبشرون للعمل.

أما عن الدرس الهام الثاني؛ فنجده في كوننا –كمؤمنين– "حجارة حية" (١بط٢: ٥) مَن منا لا يدرك حالة الضعف بل والانهيار في حياتنا الخاصة وشهادتنا؟ إن الرب يريد أن نعيد بناء أسوارنا والمحافظة عليها مستخدماً في ذلك المؤمنين الناضجين (يع٥: ١٩، ٢٠) وهذا ينشئ فرحاً عظيماً إذ أنهم مكرسون في خدمة الرب يسوع المسيح (لو١٥: ٦).

٥. رسالته الخامسة، بذل النفس والابتعاد عن الأنانية:

«تمسكت(كرست نفسي) أيضاً بشغل هذا السور» (٥: ١٦).

كان نحميا ساقي الملك. وتعني هذه الوظيفة خدمة منظمة. ومن المحتمل أنه كان يشرف على طاقم من الخدم ليوفر كل ما يحمي الملك عند تلبية احتياجاته. وهذه القيادة في بلاط الإمبراطور اتسمت بها وظيفته كحاكم لأورشليم. وبينما رتب عمل غلمانه بين سكان المدينة (٥: ١٦) كان على مائدته أكثر من مائه وخمسين (٥: ١٧) مرة أخرى؛ كان الرجل ورسالته وحدة واحدة وفي مواجهته مع الجشعين والعظماء والأغنياء والولاة (٥: ٧) قدّم نفسه لهم مثالاً كيف يتصرفون. وفي ذلك نرى درساً لكل زمن؛ علينا – الكاتب والقارئ معاً – أن نمارس ونطبق ما نعلّم به وأن نكون قدوة في كل شيء.

بلا أدنى شك فهناك الكثير من الدروس نتعلمها من صفات نحميا وأعماله. فأقرأ ما كتبه بالوحي مرة تلو الأخرى وامسك بالجواهر التي هيأها لك الرب. استخرجها ودعها تندمج في حياتك العملية وتتفاعل بقيادة وقوة الروح القدس. وبهذا يمكنك إتباع ذلك الرجل في مثاله ورسالته.

موضوع العدد (٤) بقلم: ف. ب. ماير

حياة بولس

«أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي افْرَحُوا فِي الرَّبِّ. كِتَابَةُ هذِهِ الأُمُورِ إِلَيْكُمْ لَيْسَتْ عَلَيَّ ثَقِيلَةً، وَأَمَّا لَكُمْ فَهِيَ مُؤَمِّنَةٌ. أُنْظُرُوا الْكِلاَبَ. انْظُرُوا فَعَلَةَ الشَّرِّ. انْظُرُوا الْقَطْعَ. لأَنَّنَا نَحْنُ الْخِتَانَ، الَّذِينَ نَعْبُدُ اللهَ بِالرُّوحِ، وَنَفْتَخِرُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، وَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى الْجَسَدِ. مَعَ أَنَّ لِي أَنْ أَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ أَيْضًا. إِنْ ظَنَّ وَاحِدٌ آخَرُ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ فَأَنَا بِالأَوْلَى. مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ. مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ.

لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَة بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ. لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، [1]لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ»

––

ليس بعيداً عن أقصى الخلجان شرقاً في البحر الأبيض المتوسط، وفي وسط سهل خصب غني، تقع مدينة طرسوس، التي يقول عنها واحد من أعظم بنيها إنها "مدينة غير دينية". أما في العصر الذي نكتب عنه، فكانت مركزاً تجارياً عظيماً، وملتقى للحضارتين العالمية والدينية. على حافة السهل في الجهة الشمالية، قامت جبال طرسوس العظيمة بقمتها المكسوة بالثلج الدائم الذي يغذي نهر سيدنوس بمياهه بصفة مستمرة. وبعد أن تنكسر مياه هذا النهر في شلال عظيم، يجتاز وسط المدينة، ثم تتدفق مياهه في البحر. كانت أكبر السفن التي تجري في الجزء الأخير من هذا النهر، حاملة كنوز الشرق والغرب إلى الأرصفة على جانبيه. هنا كانت تُكَوَّم البضائع والسلع من كل نوع، إذ كان يؤتَى بها لاستبدالها بأقمشة شعر المعزى التي اشتهرت بها المدينة، والتي كانت تُصنع من شعر قطعان المعزى التي تُرى على منحدرات جبل طرسوس، والتي يرعاها سكان الجبال. كانت طرسوس أيضاً تستقبل البضائع التي تتدفق من أبواب سيلسيا، وهى ممر مشهور يخترق

الجبال، ليوصّل من الشاطئ إلى أواسط آسيا الصغرى، ثم إلى فريجية وليكاؤنية من جهة، وكبدوكية من الجهة الأخرى.

في حي يهودي في هذه المدينة الناجحة، في أوائل ذلك العصر (لعله عام ٤م). إذ كان يسوع لا يزال طفلاً على ذراعي أمه في الناصرة، وُلد طفل، كان مُعيّناً أن يكون عظيماً في كل الأجيال التالية بحياته وكلماته، وأن يبعث في نفوس البشر نوراً جديداً بصدد اعتقاداتهم الدينية. ولعله، عند ختانه، قد اكتسب اسماً مزدوجاً: اسم شاول، وهو اسم العائلة، واسم بولس لعالم التجارة والحياة المدنية.

ترك طابع المدينة العظمى أثراً لا يُمحى في نفس الصبي وهو في طور النمو، وفي هذه الناحية، كانت أيامه الأولى تختلف كل الاختلاف عن أيام سيده الأولى، فيسوع تربى في قرية بسيطة، مرتفعة، متجنباً المدن، وكان يحلو له أن يُعلم على سفح الجبل، ويستمد تشبيهاته من حقل الطبيعة، أما بولس فإنه تربى وسط شوارع طرسوس المكتظة، وأسواقها المزدحمة والتي تعج بالتجار والطلبة والبحارة من كل أنحاء العالم. وكان، وهو في طور النمو، يستعد – دون أن يشعر – لكي يفهم الحياة البشرية في كل أوضاعها، ويألف أفكار وعادات البيوت التجارية، ومخيمات الجنود، وساحات الألعاب الرياضية، والهيكل. صار إنساناً لم يغب عنه أي شيء يمس الحياة البشرية. أحب حياة المدن، واستمد استعارته من مهامها.

نشأ من أصل عبراني قُح: «عبراني من العبرانيين» كانت أنسابه أصيلة من كلتا الناحيتين. لم يكن هنالك أصل أممي في دمائه، ولا نسب غريب في تحدّره. ولابد أن أباه كان ذا مركز ممتاز، وإلا لما وصل للرعوية الرومانية التي كان يطمع فيها الكثيرون. ومع أنه كان يعيش بعيداً عن فلسطين، فإنه لم يكن يهودياً يونانياً، بل كان عبرانياً أصيلاً كأي واحد من سكان المدينة المقدسة نفسها. ولعله {أباه } كان متعوداً القسوة على بنيه، وإلا لما خطر على بال ابنه أن يحذر الآباء – في السنوات التالية – من إغاظة أبنائهم لئلا يفشلوا. ومع أننا لا نعرف شيئاً بالضبط عن أمه، إلا أنها لا شك كانت متصفة بتلك الصفات الممتازة التي نتلمس آثارها في أمهات صموئيل ويوحنا المعمدان والرب يسوع. ولعلها ماتت في أيام طفولته الأولى، وإلا لما فكر ابنها فيما بعد أن يدعو أم روفس أمه (رو١٦: ١٣).

والأرجح أن لغة التخاطب العادية في ذلك البيت كانت اللغة العبرانية، وهذا يفسر – إلى حد ما – دراية الرسول بالأسفار العبرانية التي طالما اقتبس منها الكثير. بهذه اللغة العبرانية تكلم يسوع

معه في الطريق إلى دمشق (أع٢٦: ١٤)، وبهذه اللغة العبرانية تحدث هو إلى الجماهير من على دَرَج القصور (أع٢١: ٤٠). كانت أورشليم في نظره أعظم من أثينا أو روما، وكان إبراهيم وداود وإشعياء أحب إليه من أبطال الإلياذة. كان يحسبه شرفاً عظيماً أن يكو أجداده أولئك البطاركة الأنبياء القديسون الذين اتبعوا الله من أور، وصارعوا مع الملاك في يبوق، وتكلموا مع الله في حوريب وجهاً لوجه. كان قلبه يسرع النبض كلما تذكر أنه ينتمي إلى الجنس المختار، بِكْر الله، الذين كان لهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد. وكلما ذُكرت أمامه الأنساب الرفيعة والثروة العظيمة، تذكر أنه وُلد من نسب أرفع، وأنه يُنسَب إلى أرستقراطية أسمى؛ من سبطه خرج أول ملك لإسرائيل، وكان يفخر بأنه سَمِيّه.

وكانت ثقافته الأولى دينية: كان فريسياً ابن فريسي. في أيامنا الحاضرة، تعبّر كلمة فريسي عن الغطرسة الدينية والرياء المجسم. ولكن، يجب ألا ننسى أبداً أن الفريسي، في تلك الأيام القدمة ي عصر الناموس، كان يمثل أرقى التقاليد للشعب اليهودي؛ الفريسيون كانوا يعيشون حياة دينية مدققة وسط تلك الأيام التي سادت فيها روح الفتور وعدم الاكتراث. وبعكس الصدّوقيّين المتشككين الذين لم يؤمنوا بالأرواح أو بالعالم غير المنظور، كان الفريسيون يعتقدون بقيامة الأموات وحياة الدهر الآتي. وفي وسط الأخلاق الفاسدة، التي سرت عدواها إلى أورشليم، بدرجة تكاد تماثل درجة فساد روما، كان الفريسي مدققاً في مُثُلِه العليا، نقياً في حياته. كانت الآيات الكتابية التي كان قد لجأ إليها تدل على الأقل على إلمامه بالكتاب المقدس، وكان تعشيره للنعناع والكمون والشبث يظهر على الأقل تدقيقه في إطاعة الناموس. أما صلواته، فربما كانت لمجرد حب الظهور، على أنها كانت برهاناً واضحاً على اعتقاده في غير المنظور.

هكذا كان والد هذا الرسول العتيد. كان بيته الأول يحتفل بهذه المعتقدات الدينية الصارمة التي تشبعت بها نفس الولد، فعاش فريسياً حسب مذهب عبادته الأضيق (أع٢٦: ٥). كان يفخر بأنه في أول لحظة مناسبة، قبل شعائر وامتيازات ديانته، إذ خُتن في اليوم الثامن. وحيثما كان يسمع عن الذين ينضمون إلى عهد آبائه وهم كبار، كان يهنئ نفسه بأنه قُبل في عهد الشركة مع الله منذ طفولته.

وكان بلا لوم في حياته الخارجية: كان بلا لوم من جهة البر الذي بالناموس فيما يتعلق بالممارسات الخارجية، لم تكن هنالك وصية تعمّد إغفالها في الناموس الأدبي أو الطقسي. ومع أن معلّمي اليهود بنوا على ناموس موسى عددا لا يحصى من التفاسير الثانوية والوصايا الدقيقة، فإنه، بكل شجاعة، تغلّب عليها. كان يعتبرها جريمة أن يدخل بيت أممي. ولدى مغادرة السوق أو السير

في الطريق، كان يحرص على غسل يديه من أي دنس اتصل بهما بسبب لمس أي شيء يكون قد لمسه غير المختونين.

ولطالما شكر الله لأنه لم يكن كباقي الناس. وقد تعلّم أن يصوم مرتين في الأسبوع، ويعشّر كل ما يقتنيه. كان يحفظ السبت والمواسم بكل حرص وتدقيق. قال مرة في إحدى المناسبات: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، إِنِّي بِكُلِّ ضَمِيرٍ صَالِحٍ قَدْ عِشْتُ للهِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ» (أع٢٣: ١).

كانت نفس ذلك الشاب الفريسي الغيور تميل إلى الوقوف في صفوف القديسين الأولى. ففي فجر حياته، وضع في قلبه أن يربح جعالة رضاء الله، لم يكن يتصور شيئاً أحب من هذا. لذلك، فإنه حينما سأل معلمي اليهود، وعلم منهم أن الطاعة المطلقة لكلمات الربيين هي الطريق الوحيد للحصول على أمنية قلبه، عزم بكل ما في وسعه على تسلّق هذه المرتفعات الخطرة والجبال الشديدة الانحدار. ولعله فشل منذ البداية. ولعل هذه هى الصرخة: «ويحي أنا الإنسان الشقي!» كانت تدوي في أعماق قلبه قبل أن يصير مسيحياً بوقت طويل. ومع أن سلوكه الخارجي كان مثالياً، إلا أن نفسه كانت معذبة في صراع أدبي. كثيراً ما كان يرى الخير فيستحسنه، ولكنه كان يفعل الشر؛ وكثيراً ما كان يحزن ويكتئب بسبب عواطفه وضعف إرادته. كان شاعراً بتقصيراته التي لم ترها عين أخرى، تائقاً للقوة التي تعينه على أن يعيش يوماً واحداً في قداسة كاملة، إذ كان الربيّون ينادون بأنه إن عاشها إسرائيلي واحد فقد مهّد لسرعة مجيء المسيا.

ولابد أن طبيعته كانت نارية ملتهبة منذ البداية: فالدموع التي انسابت في ميليتس، والقلب الذي كاد يتحطم في رحلته الأخيرة إلى أورشليم، والتوسلات والإشارات التي تفيض رقة وعزوبة في رسائله ، وقدرته على خلق صداقات ملتهبة مستمرة –هذه لم تكن وليدة أيامه المتقدمة، بل كانت كامنة، أو على الأقل كانت نواتها كامنة– منذ الطفولية؛ فإنه لابد كان دائماً حساساً جداً للعواطف الراقية. والفارق العظيم بين تذكره أصدقائه بعد وفاتهم، وبين صمته التام نحو والديه وإخوته وأخواته، يدل على المرارة التي أحس بها، إذ هجرهم نهائياً بعد اعتناقه المسيحية. ولابد أن هذه الكلمة التي قالها:«لأجله خسرت كل الأشياء»، تحمل في طياتها أثراً أعمق مما يبدو في ظاهرها.

أما الغيرة التي دفعته لاضطهاد الكنيسة فيما بعد، فكانت قد بدأت تتحرك في صدره وقتئذٍ. قال مرة:«أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ، وَلكِنْ رَبَيْتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ. وَكُنْتُ غَيُورًا للهِ» (أع٢٣: ٣).

كان صادقاً حينما أخبرنا بأنه تقدم في الديانة اليهودية على الكثيرين من أترابه وبني جنسه، لأنه كان أوفر غيرة في تقليدات آبائه. إنه لم يتمسك بالحق سطحياً، أو في بلادة وعدم إحساس، أو كضرورة لازمة تربيته الأولى، بل لأنه تعمق فيها كل العمق.

ولعله كان يردد في نفسه تلك الكلمات القديمة: «غيرة بيتك أكلتني». وهل كان يخطر بباله أي أمل بأن تكفّر غيرته عن تلك النقائض التي كان يحس بها متألماً، وتزكّيه أمام إلهه؟ لقد عرف باختبار الشخصي ماذا يعني أن تكون له –كباقي إخوته وأنسبائه في الجسد – غيرة لله. ولكن ليس حسب المعرفة.

وكطفل، حفظ (تث٦: ٤–٩؛ مز١١٩: ١١٣–١١٨). ولابد أن أيام الطفولة قد أنقضت على الوجه الآتي: في سن الخامسة بدأ يقرأ الكتاب المقدس، وفي سن السادسة أُرسِل إلى مدرسة أقريب معلّم، وفي العاشرة تعلم الناموس الشفوي، وفي الثالثة عشر صار ابناً للناموس بموجي طقس معيّن. ويبدو أنه لم يتعلم الفلسفة اليونانية التي اشتهرت بها طرسوس، فقد كان هذا يعد مستحيلاً بسبب وجهة النظر الجامدة التي لا تلين، والتي تطلّع بها اليهود الذين في الشتات نحو الجالية الأممية التي تحيط بهم. وبين الثالثة عشر والسادسة عشر أُرسِل إلى أورشليم لاستئناف دراسته لوظيفة ربي التي كان يطمع فيها أبوه. ومما هونّ علي الصبي أن يفعل هذا، أنه كانت له أخت متزوجة في أورشليم، وكان ممكناً أن يقيم معها أثناء دراسته على يدي المعلّم العظيم غمالائيل. استمع إليه وهو يقول فيما بعد: «رَبَيْتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ» (أع٢٢: ٣).

ويجب ألا نغفل بأن نذكر أنه في أيام الصبوة هذه، تعلم حرفة أفادته كثيراً عندما كانت تضغط عليه سبل المعيشة. كان المثل اليهودي القديم يقول: "من لم يعلم ابنه حرفة، علّمه أن يكون لصاً".

كان كل يهودي يتعلم حرفة، وكانت هذه عادةً حرفة أبيه. والأرجح أن أسرة بولس كانت لأجيال طويلة تعمل في نسيج قماش داكن من شعر المعزى. ولابد أنه كان منذ الطفولة، قد ألف أصوات الأنوال التي كان يُنسج فيها شعر المعزى لإخراج قماش قوي يصلح لملابس الصناع الخارجية أو للخيام، وكان يطلق عليه اسم قماش "الكيليكي" نسبة للمقاطعة التي كانت فيها طرسوس، كانت هذه الحرفة قليلة الأجر، أما لبولس، فقد كانت مناسبة جداً لمقتضايات شخص متجول، فالحرف الأخرى تتطلب مصنعاً مستقراً، وآلات باهظة التكاليف، أما هذه، فكانت صناعة بسيطة، يمكن تأديتها في أي مكان، ولا تحتاج إلا لأبسط العدد والآلات.

وبعد فترة من الزمن تقريباً من الخمسين عاماً، أمكن لبولس أن يتأمل – وهو سجين في أحد السجون الرومانية – في هذه الأمور التي كان فيما مضى يحسبها ربحاً، اقتربت مرة أخرى تلك المناظر البعيدة، مناظر حياته الأولى، إلى عينه الفاحصة، فتفرّس فيها. وإذ تأمل في أرباحها الوفيرة، كتب تحتها: خسارة ونفاية...«لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (في٣: ٧، ٨).

لم يكن أمراً قليل الشأن أن ينحدر من أبوين شريفين تقيين، أن يكون ابناً لإبراهيم، وارثاً للمواعيد التي أعطيت لنسله؛ **ولكنه حسبها خسارة!**

لم يكن أمراً قليل الشأن أن يبني لنفسه صيتاً عظيماً، واسم لا تشوبه شائبة بالطاعة الكاملة المستمرة للناموس، والتدقيق الشديد، **ولكنه حسبها خسارة!**

كان هنالك شيء من الاتزان في نغمته: قد يكون الشباب مندفعين ومتعجلين، أما من تكلم هكذا فليس شاباً، بل رجلاً حنكته الأيام وزادته حكمة، وامتلأ قلبه باختبارات أشخاص كثيرين تجمعوا في شخصية واحدة. لقد صرف سنوات طويلة في السجن، حيث كان هنالك متسع من الوقت للتأمل في الذكريات السابقة وفرصة مناسبة للموازنة بين الماضي والحاضر. ولكن، رغم كل هذا، ورغم أن المرء يميل عادة إلى التصغير من شأن صعوبات الماضي، والتهويل في صعوبات الحاضر، فقد قال مرتين، عن الامتيازات التي كانت موضع فخره في أيامه الأولى، بأنها خسارة ونفاية.

لم يكن هنالك شيء من التحقير في إشارته لطقوس العبادة الموقرة التي رُبّيَ عليها. لقد ظل سنوات طويلة يرى في اليهودية التعبير الوحيد للاهوت، والشبع الوحيد لغرائزه الدينية. أما الأمور التي كان يتكل عليها فيما مضى، وأصبح يراها فيما بعد غير كافية، فكانت على الأقل هي التي رآها أساساً للسمو والنمو. لم يكن ينسى أن الله نفسه هو باني البيت الذي وجدت فيه نفسه ملجأ ومسكناً، وأن صوته تكلم في الأنبياء.. وأن أفكاره هي التي ألهمتهم، وأن مقاصده قد تمت. لا يمكن لإنسان عاقل أن يتكلم باحتقار عن كتابه الأول الذي بدأ يتعلم فيه، أو عن معلميه الأوائل؛ ولعل هذه هي الأساس الذي بنى عليه كل ما تعلّمه فيما بعد. ولكن، رغم ما تحمله نفس الرسول من احترام وتوقير، فلم يسعه، إلا أن يؤكد بأن ما كان له ربحاً قد حسبه خسارة.

وأساس هذه النتيجة التي وصل إليها: يوجد في ناحيتين. فمن الناحية الأولى، اكتشف بأن الذبائح اليهودية تعيد الخطايا إلى الذاكرة، كما هو واضح من تكرارها المستمر، ولكنها لا تستطيع أن

تلاشيها. أكتشف بأن الطقوس الخارجية – مهما مورست بكل حرص – لم تفلح في تطهير الضمير. اكتشف بأنه لا توجد في اليهودية قوة للخلاص، لا شيء لتنشيط وتجديد قوى النفس الخائرة. ومن الناحية الأخرى، يوجد شيئاً أفضل.

ترك الشاب الفنان وطنه القروي يملأ جوانبه الكبرياء والخيلاء بسبب ما حصله، فإن أقرانه البسطاء لم ينعموا بمثل هذا؛ لقد دعوه فلته من فلتات الطبيعة، أما هو، فقد قبل هذه التسمية بكل سرور. في اقتناعه الداخلي، كان يرى نفسه أهلاً للنزول إلى العالم ليحرز قصب السبق فيه. وهكذا، خرج كأنه خارج إلى باريس أو ميلان أو روما، ولكنه في كل شهر كان يزداد في تحقير نفسه والتقليل من شأن مواهبه. وللحال، صار تلميذاً للمعلم العظيم غمالائيل. وعندما عاد إلى وطنه بعد انقضاء عدة سنوات، وفتح سجلاته المتضمنة دراساته القديمة، أغلقها للحال بسخط شديد، متعجباً كيف تجاسر سابقاً بأن يدعوها فناً؛ فإن كان له ربحاً وقتذاك، فهو الآن خسارة في ضوء ما قد رآه وتعلمه.

هكذا رأى بولس يسوع. أمام مجد تلك الرؤيا السماوية، تضاءلت كل الأشياء الجذابة الأخرى. لقد حسب كل الأشياء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربه. كانت كل جهوده الشخصية لا شيء بالمرة بالنسبة لعمله الذي أتمه. كانت نجده له أن يتحول، من بره الذي بالناموس إلى طريقه الله للبر الذي بالإيمان بالمسيح. عندما كان يظن أنه يمكنه إتمام مطالب قداسة الله الكاملة بمجهوده الشخصي، كان يغشاه خوف من أن يفشل فشلاً ذريعاً. ولكنه، للحال، تعلم أنه يقدر أن يربح المسيح بترك كل شيء وأنه، يترك جهوده والاتكال على المسيح، يقدر أن يوجد فيه، ويحصل على البر الذي بلا لوم، والذي تم بطاعته حتى الموت، وأنه باعترافه بالعجز عن أن يفعل الخير الذي يريده وارتضائه الموت مع المسيح، يقدر أن يعرف قوة قيامته ويتشبّه بها يوماً فيوماً. لذلك فإنه، بكل شكر، ترك جهوده الشخصية، وحسب كل ما كان له في الماضي ربحاً أنه نفاية وخسارة، لكي يربح المسيح، وكل ما يمكن أن يهبه المسيح ويفعله.

ياله من اختبار مروّع، حينما يستيقظ المرء فيجد أنه كان سالكاً مسلكاً خاطئاً في أهم الأمور، وأنه كاد أن يفقد أعمق معاني الحياة، حينما يكتشف أن القواعد التي وضعها لنفسه، والبناء الأخلاقي الذي تعب في بنائه، ليست إلا خشباً وقشاً وعشباً، حينما يتبين له أنه إنما كان يبني على أساس خائب، وأن كل حجر وضعه يجب أن يُزال. يا لله! حينما يحصل هذا الاكتشاف في أوائل الشباب فإنه يشل الجسم كله، ولو إلى لحظة، ونسقط على الأرض، ونقضى ثلاثة أيام وثلاث ليالي

منذهلين لا نبصر. وإن حصل في أواخر الحياة، نجده مليئاً بالحصرة والندم. وإن تم في العالم الآخر، نجده مكتنفاً بالسواد وظلمة اليأس الذي لا يُنطق به؛ فالدود لا يموت والنار لا تُطفأ.

هنالك محك واحد به نتبين إن كنا على خطأ أم صواب، هو موقفنا بإزاء الرب يسوع المسيح. إن كانت حياتنا الدينية تدور حول محور آخر سواه، حتى ولو كان ذلك المحور العقائد اللاهوتية أو النظم المسيحية، فإنه لابد أن يسبب لنا الفشل. أما إذا كان هو الألف والياء، إن كان إيماننا –مهما ضعف– يتطلع إليه، غن كنا نُصر أن نعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، إن كنا نحسب كل الأشياء خسارة من أجل فضل معرفته، فإننا نجد أنفسنا في سلام وسط ألغاز الحياة، والمطالب السامية التي يطلبها العرش الأبيض العظيم.

الأعمال المقبولة لدى الله

يظن الكثيرون أن كل عمل حسن في تقدير الناس لابد وأن يكون مقبولاً في موازين الله. على أن هذا الظن الشائع والخطير تنقضه بوضوح كلمة الله، كما أنه منافٍ لمنطق الأمور. فكيف للقلب الاثيم أن يُخرج عملاً صالحاً؟

إنه- وفي أحسن الأحوال- سيكون عملاً ملوثاً بدوافع غير نقية حتى ولو بدا العمل نفسه من الخارج جميلاً ورائعاً.

والكتاب المقدس يؤكد هذه الحقيقة: فساد قلوبنا جميعاً كبشر (رومية٣: ١٢) وبالتالي فإن أفضل الأعمال التي ستخرج منا ونحن على هذه الحالة هي في نظر الله مجرد خرق نجسة! "وقد صرنا كلنا كنجس (حالة قلوبنا) وكثوب عدة (أي خرق نجسة) كل أعمال برنا! (فما بالك بأعمال اثمنا!!)" (إشعياء٦٤: ٦)

والواقع أنه لو كان بوسع الإنسان- أي إنسان مهما كان- أن يُخرج صلاحاً من قلب فسد بالخطية المولود بها ويعيش على حالها، نقول لو كان ذلك ممكناً فالمسيح إذاً يكون قد تجسد ومات بلا سبب "أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رومية ٤: ٢٥). إن تطهير القلب بنعمة الله وغسله بدم المسيح المُطهر من كل خطية هو الخطوة الأولى اللازمة ليمكن لهذا القلب -بعد ذلك وليس قبله- من أن يُخرج عملاً مقبولاً عند الله يقول الكتاب «بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُون وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوع لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ» (أفسس ٢: ٥-٩)

لاحظ: الخلاص بالإيمان على مبدأ النعمة أولاً، ثم يأتي دور الأعمال الصالحة المعدة لنا للسلوك فيها.

وكل إيمان حقيقي لابد له من عمل خارجي يبرهن وجوده ويؤكده "عمل إيمانكم" (تسالونيكي الأولى١: ٣) وكما أن «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عبرانيين٩: ٢٢)، وبدون

إيمان لا يمكن إرضاؤه (عبرانيين١١: ٦) كذلك «إيمان بدون أعمال هو ميت في ذاته» (غير موجود من الأساس) (يعقوب٢: ٢٠).

القارئ العزيز:

على أي مقياس تقيس أعمالك؟ احذر لئلا تقيسها على مفاهيم الناس بعيداً عن مقاييس الله. قد يكافئ الله على أعمال الخير الإنسانية دنيوياً في هذا الدهر، لكن مستحيل أن يُقبل عمل عند الله باعتباره عملاً صالحاً في قياسه أو عمل إيمان بدون وجود لهذا الإيمان الذي هو مقدم لك الآن مجاناً بناءً على فدية المسيح على الصليب وسفك دمه الكريم. فهلا قبلت هذه الحقيقة؟ هل تعترف بأنك مذنب هالك ذو قلب فاسد يحتاج أولاً إلى التطهير بدم المسيح قبل أن تسلك في الأعمال الصالحة التي أعدها لك الله لتسلك فيها؟ ليتك تفعل الآن وفوراً.

بقلم: زكريا عوض الله

عدو مهزوم

رُدَّ سهمُ الكائدِ المُستَئْسِدِ   ناصِبِ الأَشْرَاكِ، مُحْصِي الْزّلَلِ

عقلُهُ الجبَّارُ شرٌ كلُّهُ   دَأْبُهُ في الأَرضِ عَرْضُ الْحِيَلِ

شهوةُ العينِ وأُختَاها هيَ   طُعْمَهُ المَأْثُورِ فِيْمَنْ يَغْفَلِ

يُوقِعُ المسكِينَ في أُحبُولةٍ   ثُمَّ يَشْكُوْ فِي الْسَمَا إِذْ يَمْثُلِ

دَعْهُ يشكوُ دَعْهُ يُحصي، إنما   فِي الْسَمَاءِ لِي شَفِيْعٌ أَزَلْيْ

قلبُهُ الخفَّاقُ بالحبِ لَنَا   فِيْهِ لْلشَاكِيْ جَوَابٌ، ثُمَّ لِيْ

العدوُّ يُحصِي ألفًا، وأنا   أعْرِفُ الآلافَ مِّمَّنْ يَجْهَلِ

كُلَّها مغمُورةٌ، مغفُورَةٌ   فِي دَمِ أبْنِ اللَّهِ، ذَاَكَ الْحَمَلِ

لستُ أنسىَ التَيْسَ خيرَ شاهدٍ   يَوْمَ كَانَ لِلخَطَايا يَحْملِ

ثُمَّ يخفِي بينَ أطباقِ الثَرَى   سَقَطَاتِي فِي مَكَانٍ قَاحِلِ

تاهَ ذاكَ التّيسُ في بَيْدَائِهِ   وَأنْطَوَتْ فِي الْتِيهِ ذِكْرَى فَشَلِيْ

في الخدمة بقلم: فايز فؤاد

أبطال المحبة

الكرام والمكارم...الأفاضل والفضائل

الأسماء الواردة في كولوسي ٤: ٧-١٨

ودلالاتها الروحية

(٤) يوحنا مرقس ... النافع للخدمة

«يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ ... مَرْقُسُ ابْنُ اخْتِ بَرْنَابَا، الَّذِي أَخَذْتُمْ لأَجْلِهِ وَصَايَا. إِنْ اتَى الَيْكُمْ فَاقْبَلُوهُ» (كو٤: ١٠)

تحدثنا في عددنا السابق عن "يوحنا مرقس" الذي تحوَّل من الفشل القاسي إلى النجاح العظيم، وكيف بدأ طريق الخدمة بخطوات متعثرة، ولكن تغيَّرت حياته وأصبحت قوية، وشهادته لامعة. فلم يكن الفشل هو نهاية مرقس. لقد صمت الكتاب عن ذكر تفاصيل زلته، ويصمت أيضًا عن تفاصيل رد نفسه، ولكنه من المؤكد أنه رُدَّت نفسه.

وفي صمت الكتاب عن مرقس – سواء من جهة فشله أو رد نفسه – درسًا عظيمًا ومُشجعًا لنا. وربما نكون في الظاهر سائرين كما لو كنا أمناء من نحو الرب، ولكن قد لا نكون حقيقة كذلك. ولكن الله وحده، هو الذي يعرف حقيقة قلوبنا، وشكرًا لله لأجل نعمته التي تردّ نفوسنا، وتمنحها السلام «يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (مز٢٣: ٣). كم من اعترافات سرية بفشلنا قدَّمناها للرب! وكم من بركات سرية لرد النفس تمتعنا بها برحمته!

وهناك ثلاث إشارات يذكرها الرسول بولس عن مرقس في رسائل السجن: كولوسي وفليمون وتيموثاوس الثانية (كو٤: ١٠؛ فل٢٤؛ ٢تي٤: ١١)، هذه الإشارات تؤكد ردّ نفسه إلى طريق الخدمة والأمانة، وإلى ثقة الرسول بولس به:

(١) كولوسي٤: ١٠: كان بولس الرسول، خادم الرب ذو القلب المُتسع، يُسرّ بأن يثني على إخوته وشركائه في العمل، ولم يكن يخشى أن ينتهرهم إذا لزم الأمر. وفي كولوسي٤: ٧-١٨ نجده يُعطيهم وصايا وتحريضات عديدة ورائعة، وفيها نجد مرقس مُشارًا إليه في هذه القائمة «يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ ... مَرْقُسُ ابْنُ اخْتِ بَرْنَابَا، الَّذِي أَخَذْتُمْ لأَجْلِهِ وَصَايَا. إِنْ اتَى الَيْكُمْ فَاقْبَلُوهُ» (كو٤: ١٠). وربما كان بولس يُشير إلى زلة مرقس عندما ذكر عنه أنه «ابْنُ اخْتِ بَرْنَابَا»، ولكن كم هو مُشجع لنا أن

نقرأ أن الرسول يحث الإخوة في كولوسي أن يقبلوا مرقس. إنه يربط مرقس مع "تِيخِيكُس وأُنِسِيمُس وأَرِسْتَرْخُس ويَسُوعُ الْمَدْعُوُّ يُسْطُسَ". ويا لها من مجموعة حلوة ومترابطة معًا، ويقول عنهم الرسول: «هَؤُلاَءِ هُمْ وَحْدَهُمُ الْعَامِلُونَ مَعِي لِمَلَكُوتِ اللهِ، الَّذِينَ صَارُوا لِي تَسْلِيَةً» (ع١١). أي تغيير طرأ في الشهادة عن مرقس. لقد رفض بولس قبلاً أن يقبل مرقس خادمًا ورفيقًا له، ولكنه الآن يُشير إليه إذ أصبح سبب تعزية له. ونحن جميعًا، إذ نكون في طاعة الحق، فإننا نعلو فوق فشلنا، ونصير عونًا في حروب الإيمان.

(٢) وفي فليمون ٢٣، ٢٤ يُذكَر "مَرقُس" مع "أَبَفْرَاسُ وَأَرِسْتَرْخُس وَدِيمَاس"، ويُشير إليهم الرسول باعتبارهم شركاء في الخدمة «الْعَامِلُونَ مَعِي» (ع٢٤). وكم كان محزنًا أن يترك ديماس بولس الرسول. ويُسجَّل هذا السقوط لتعليمنا وتحذيرنا: «دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ وَذَهَبَ إِلَى تَسَالُونِيكِي» (٢تي٤: ١٠). فيا لقوة جاذبية العالم! ولكن الجاذبية الأعظم لشخص المسيح هي الترياق لمثل هذا السقوط الذي يمكن أن يحدث. فقد نكون في أفضل شركة مسيحية مثل ديماس، ولكن ما لم تكن دوافعنا محكومة بتقوانا للمسيح، فَمن المحتم أننا سنسقط بطريقة أو بأخرى.

(٣) ٢تيموثاوس٤: ١١: لقد كتب بولس، لابنه في الإيمان تيموثاوس، ليُحضر مرقس معه، عندما يأتي إلى روما ليكون معه. ففي ضوء عثرة ديماس، يُصبح حضور مرقس – الذي رُدت نفسه – مصدر فرح عظيم، وسرور وتعزية، لبولس؛ أسير يسوع المسيح. كان مرقس قبلاً غير نافع لبولس، ولكنه يكتب الآن، بكل إخلاص وراحة قلب: «خُذْ مَرْقُسَ وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ» (٢تي٤: ١١).

إن هذه الشواهد الثلاث في كتابات الرسول بولس تدل بلا أدنى شك، كيف كان رد نفس مرقس كاملاً، ونواصل تأملاتنا عن مرقس بملاحظتين:

الملاحظة الأولى: مرقس آنية الوحي:

لقد كان لمرقس امتياز عظيم أن يكون في صحبة الكثير جدًا من الأمناء وخدام المسيح التاعبين. وليس من المتاح لكل مؤمن أن تكون له مثل هذه الفرص. وبلا شك فإنه قد استفاد استفادة عظيمة من اختباراته العديدة وحديثه معهم. ولكن أعظم هذه الاختبارات والامتيازات هي عندما مُنح امتيازًا لا يماثله امتياز، إذ صار إناءً للوحي. ذلك الخادم الذي كان قبلاً غير نافع، وغير أمين، أُؤتمن أن يكتب قصة خادم الله الأمين الكامل؛ يسوع المسيح، ابن الله! وإذا طرحنا جانبًا بعض الافتراضات والنظريات التي تُفسر ممن استقى مرقس مادة كتابته ليُسجل حياة الرب يسوع، لننشغل بالمحتويات

نفسها، فإن الروح أوحى إليه أن يكتب عن العبد الكامل. فإذا كان مرقس اتصف بالنفور والفشل في خدمته، فإنه سُرَّ أن يجذب انتباهنا إلى ذلك الوحيد الذي أطاع دائمًا، وبدون تردد، وفي الحال. ويلذ لنا أن نعرف أن الكلمة اليونانية، التي تُرجمت في العربية "للوقت" أو "حالاً"، قد استخدمها مرقس ٤٢ مرة في إنجيله. وهي تدل على نشاطه في تتميم الأمر الضروري في وقته. إنها تُعطينا صورة مضيئة عن العبد المُمجَّد وطاعته الكاملة لإرادة الله، والمشغول بعمل من أعمال الرحمة تلو الآخر، مُسرعًا من مكان إلى مكان، صانعًا مشيئة أبيه. فكم هو شيء عجيب لمرقس أن تُسترد نفسه تمامًا ليُستخدَّم لمثل هذا العمل العظيم! ونحن قد استقينا مكسبًا عظيمًا للغاية من هذا العمل! وتسجل الروايات التقليدية بأن مرقس انتهت حياته بالاستشهاد. لقد كان أمينًا إلى الموت. وشكرًا لله لأن عمله قد بقى. لقد كُتب إنجيل العبد الكامل من واحد من الخدام الذين كانوا قبلاً غير أمناء، ولكن الله ردَّ نفسه تمامًا ليُستخدم لأعظم وأشرف خدمة. ليُعطنا الرب أن نجد كل الفائدة في التأمل في حياة هذا الخادم.

الملاحظة الثانية: مرقس بين الاندفاع والتراجع:

ينفرد مرقس عند الحديث عن القبض على المسيح، بذكر أنه «تَبِعَهُ شَابٌّ لاَبِسًا إِزَارًا عَلَى عُرْيِهِ، فَأَمْسَكَهُ الشُّبَّانُ، فَتَرَكَ الإِزَارَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَانًا» (مر ١٤: ٥١، ٥٢). لقد كان هذا الشاب أشجع من التلاميذ، إذ تبع المسيح في الوقت الذي هرب فيه الجميع. ويبدو أنه كان نائمًا أو مقبلاً على النوم عندما سمع عن واقعة القبض على الرب يسوع، فلم يتمهل ليلبس ثيابه، بل أخذ الإزار ولفه على جسده العاري، وجرى مُسرعًا أمام الموكب، ليهرب بعد ذلك بخزي عظيم. والأرجح أن هذا الشاب هو نفسه مرقس كاتب الإنجيل، وأنه أورد القصة كما حدثت معه، وكما اختبرها بنفسه. وهذه القصة تُعطينا صورة طبيعية حقيقية لحياة مرقس كشاب بين الاندفاع والتراجع، بين الإقدام والإحجام على نحو مباغت عنيف. وهي قصة تُمثل خصائص الشباب في الأغلب قبل أن تعركهم حوادث الحياة، وتصلّب وتثبت إرادتهم الأيام. وفي الحقيقة إننا لا نحتاج إلى الوقت الطويل مع أي شاب – إذا قورن بالشيخ – لنحركه في الاتجاه العاطفي الذي ينقله من النقيض إلى النقيض في سرعة بالغة. لقد اندفع مرقس إلى طريق الخدمة قبل التوقيت الإلهي، وقبل أن تظهر ملامح الدعوة الإلهية، ولذلك لم يحتمل معاناة السفر، والظروف الصعبة، والشخصيات التي كان يجب أن يواجهها في طريق الخدمة، وهكذا نراه يتراجع سريعًا (أع١٣: ١٣). ولكن بعيدًا عن الأنظار، وحيث لا نعلم، وفي زمن نجهله، وبطريقة لا ندركها، كانت يد الفخاري الأعظم تعمل لتُشكلن منه إناءً نافعًا للسَيِّد. ولنا في هذه الحادثة التي انفرد بذكرها مرقس درس آخر؛ فبعد أن تبرهن ضعف التلاميذ عندما أتي اليهود

ليقبضوا على المسيح، إذ «تَرَكَهُ الْجَمِيعُ وَهَرَبُوا» (مر ١٤: ٥٠)، نقرأ عن هذا الشاب الذي غامر وتبع الرب يسوع، ليهرب بعد ذلك بخزي عظيم«تَبِعَهُ شَابٌّ لاَبِسًا إِزَارًا عَلَى عُرْيِهِ، فَأَمْسَكَهُ الشُّبَّانُ، فَتَرَكَ الإِزَارَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَانًا» (مر ١٤: ٥١، ٥٢). ومن المرجح أن هذا الشاب – كما ذكرنا – هو مرقس نفسه.

لقد كان عريانًا مع أنه كان مئتزرًا بثوب. فيبدو أنه لم يسبر غور خرابه الداخلي، وضعفه وعجزه. ويبدو أنه كان مخدوعًا بالثقة في ذاته، وبالثقة في إزاره (ثوبه الكتاني أو الذي من البز – بحسب ترجمة داربي). لقد كان يتصوَّر أن هذا الثوب الكتاني يُكسبه بعض الحماية. أَ لم تكن ثياب الكهنة من الكتان أو البز الأبيض النقي؟ ولكن جاء وقت اضطر فيه هذا الشاب أن يترك ثوبه خلفه، ولم يتبق له إلا عُريه المُشين وخزيه الأعظم. لقد كانت محاولته لإخفاء عُريه واتباع الرب، محاولة فاشلة.

وفي جنة عدن – جرَّد الشيطان الإنسان من رداء البراءة، وتركه عريانًا لا يصلح لحضرة الله. وعندما اكتشف آدم وحواء حالتهما هذه، حاولا أن يعالجاها «فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ» (تك٣: ٧). ولكن مآزر التين لم تكن كافية لتجعلهما ملائمين لحضرة الله، بل عندما سمعا صوت الرب اختبأ منه، وهما لا زالا يشعران بأنهما عريانان. وكذلك دائمًا مع ثياب الإنسان التي يصنعها لنفسه، ولو أن الشيطان يُحرضه على صُنعها، ويوهمه بأنه متأنق في هندامه، ولكن «تَكْتَسُونَ» – يقول حجي – «وَلاَ تَدْفَأُونَ» (حج١: ٦). وكذلك نقرأ في إشعياء بخصوص ذلك «نَسَجُوا خُيُوطَ الْعَنْكَبُوتِ ... خُيُوطُهُمْ لاَ تَصِيرُ ثَوْبًا، وَلاَ يَكْتَسُونَ بِأَعْمَالِهِمْ. أَعْمَالُهُمْ أَعْمَالُ إِثْمٍ، وَفِعْلُ الظُّلْمِ فِي أَيْدِيهِمْ»، وأيضًا «قَدْ صِرْنَا كُلُّنَا كَنَجِسٍ، وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا، وَقَدْ ذَبُلْنَا كَوَرَقَةٍ، وَآثَامُنَا كَرِيحٍ تَحْمِلُنَا» (إش٥٩: ٥، ٦؛ ٦٤: ٦).

إن "الرداء" أو "الإزار" يُمثل من الناحية الروحية بر الإنسان. أَ فليس هو الذي يستر الإنسان عن الإنسان؟ ويظن الإنسان أنه يصلح أيضًا ليستره أمام الله! ولكن في الحقيقة لا يوجد سوى شخص المسيح نفسه يصلح لستر الإنسان الخاطئ في حضرة الله القدوس «وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً» (١كو١: ٣٠). صحيح أن لي خطاياي، ومن ثمّ أحتاج إلى المسيح، لكن حتى وإن كان لي بر، فيجب أن أطرحه عني، وبكل فرح وغبطة أُخفي نفسي في ذلك الشخص المجيد (في٣: ٤–٩)؛ يجب أن نخلص من برنا الذاتي، ونقبل عوضًا عنه البر الذي يعلنه الله ويحسبه لنا بالإيمان، وعندئذٍ أستطيع أن أتبع المسيح واثقًا فيه، ومتكلاً عليه.

وهكذا – أيها الأحباء – نأتي إلى نهاية تأملاتنا في شخصية «يوحنا مرقس»، وإلى اللقاء في العدد القادم – إن شَاءَ الربُّ وَعِشْنَا – مع شخصية أخرى من أبطال المحبة الواردة أسمائهم في كولوسي ٤: ٧–١٨.

(يتبع)

«اثنان يهزمان ربوة[1]»

(١صم١٤)

ما الذي لا يقدر أن يفعله شابان امتلأ قلباهما بمحبة الوطن، واعتمد على الله لإرشادهما في كل خطوة؟

كان يوناثان بطلاً حقيقياً من أبطال الله، حقق في حياته مقدماً صفات البطولة المسيحية. كان لا يهاب أي شيء كما كان بلا لوم، عاش طاهراً، كان ينطق بالحق، ويقوِّم المعوج، وكان أميناً لمطالب المحبة البشرية، وتبع المسيح رغم أنه لم يكن يعرفه، كانت صفاته لامعة ناصعة البياض، بعكس صفات أبيه.

كان يمتد من شاطئ نهر الأردن وادي طوله إثنا عشر ميلاً، ويصل إلى المنطقة الجبلية في فلسطين الوسطى، ثم إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط. وعلى بعد ميلين من رأس هذا الممر، ونحو ثمانية أميال من شمال أورشليم، تصير الصخور على الجانبين شديدة الانحدار، وتقترب من بعضها، حتى تكاد تتلامس.

تصور ممراً ضيقاً جداً، تحميه الجبال الشديدة الانحدار، لا يمكن أن يتسلقها إلا الجداء البرية، لكن الإنسان لا يمكنه تسلقها. كان سن الصخرة التي في الشمال يدعى "بوصيص"، أي مضيء، لأنه كان يعكس نور الشمس طوال النهار. وفي الجنوب سن الصخرة الأخرى ويدعى "سنة"، أي شجرة السنط، إذ كان دائماً في الظل، وهو على بعد بضعة أمتار قليلة من السن الأول، كان السن الأول "مقابل مخماش"، وهناك كان الفلسطينيون حالين. وكانت القرية الصغيرة "جبع" في مستوى أعلى، وإليها نقل شاول جيشه، وكأنه انسحب من سهول الأردن ليراقب تحركات قوات العدو.

لا نعرف طول الوقت الذي ظل فيه كل جيش يراقب الآخر. ولا يمكن أن نعرف ماذا كانت تؤول إليه الحرب لولا موقف البطولة الذي سوف نتأمل فيه الآن.

---

[1] (تث٣٢: ٣٠) "يطاردان ربوة" حسب الترجمة الإنكليزية

١. لقد تمم يوناثان المقاصد الإلهية:

اغتاظ يوناثان بسبب الجمود والعار اللذين لصقا بشعبه من راء كل ذلك الموقف. وقد بعث فيه الحيوية أيضاً إيمانه القوي بالله، ودفعه روح الله ليُجري عملاً نتجت عنه نصرة مجيدة وخلاص عجيب. لقد بدا له أنه من المستحيل أن يكون الله قد ترك شعبه المختار، أو نقض عهده القديم. لقد وعد، ألا يقدر أن يتمم؟ أليس شعبه هو ميراثه المختار! يقيناً أن قصد الله كان يتعارض مع غزو هذه الجيوش الفلسطينية للبلاد، وكان هذا القصد الإلهي ينتظر فقط شخصاً مؤمناً يتصل بمصادر القوة الإلهية، وعندئذٍ تضمن الحياة.

أما شاول فلم تكن لديه فكرة عن هذه الأمور. لقد أغلق أذنيه عن أن يستمع لما يقوله له الماضي المجيد. وإذ دب فيه اليأس بسبب ما رأته عيناه وسمعته أذناه من الصباح إلى المساء لم تعد له قوة ليتحرك ويمسك بالوعد الإلهي للنجاة. وقد بدا كأن حكم صموئيل بعزله من المُلك بمثابة حجر على فم القبر أغلق عليه في اليأس.

إنه لأمر جوهري جداً في هذه الحياة الفانية، عندما تدب فينا عوامل اليأس إزاء الرذائل الشنيعة التي تسيء إلى البشرية، كتجارة المراهنات والميسر، والنجاسة، والانغماس في الملذات العالمية، وهذه هي بمثابة الفلسطينيين– أن تتطلع إلى القصد الإلهي الذي كشف عنه الفداء الذي أتمه على الصليب دم فادي العالم. يقيناً أن ذلك الدم لا يمكن أن يكون قد سُفك عبثاً. إن قدرة الله وقوته كفيلتان بإتمام الخلاص الكامل الذي كان الصليب نبوة عنه «لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ» (١يو٣: ٨). وهو لا يمكن أن يهدأ حتى يتمم قصده على الأرض التي افتديت بالدم الكريم.

طوبى للذين – كيوناثان – يرفعون أنفسهم، فوق ضيق الساعة إلى شركة حية من هذه الحقائق الأزلية، ويسلمون ضعفهم لله، لأنه دائماً «يصنع قضاء وعدلاً في الأرض» (إر٩: ٢٤) التي افتديت بالدم الكريم.

٢. وسلم نفسه لله كآلة في يده:

الله يعمل دائماً عن طريق البشر. هو يدعونا للشركة معه، لكي تفيض الينابيع الإلهية عن طريق أواني بشرية. والله يتطلع دائماً إلى من يؤمنون به لكي يتقبلوا منه قوة ونعمة في اليد

الواحدة، وينقلوهما لغيرهم باليد الأخرى. إنه يختارهم لكي يُعرِّف قوته المقتدرة عن طريقهم. وطوبى للذين لا تتبلد إحساساتهم إزاء الدوافع الإلهية، ولا يعاندون الرؤيا السماوية.

كان يوناثان واحداً من أولئك الأشخاص المباركين المرهفين الإحساس أمام الله، كإحساس شبكة العين أمام النور. «وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ قَالَ يُونَاثَانُ بْنُ شَاوُلَ لِلْغُلاَمِ حَامِلِ سِلاَحِهِ: تَعَالَ نَعْبُرْ إِلَى حَفَظَةِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الَّذِينَ فِي ذلِكَ الْعَبْرِ» وبأدب جم «وَلَمْ يُخْبِرْ أَبَاهُ» (١صم١٤: ١). والأرجح جداً أن الأثنين تسللا بهدوء في الفجر، بينما كان زملاؤهما لا يزالون نائمين. امتلأ قلب يوناثان الشاب اقتناعاً بالقصد الإلهي، الأمر الذي تفصح عنه هذه الكلمات «لَعَلَّ اللهَ يَعْمَلُ مَعَنَا، لأَنَّهُ لَيْسَ لِلرَّبِّ مَانِعٌ عَنْ أَنْ يُخَلِّصَ بِالْكَثِيرِ أَوْ بِالْقَلِيلِ» (ع٦).

لاحظ أين ركز يوناثان كلامه. لقد كانت ثقته في نفسه ضئيلة جداً، أما ثقته في الله فكانت مطلقة. نفسه انتظرت الرب، وفيه ركز كل رجائه، ومن معونته الرحيمة انتظر عظائم. كان كل ما يتوق إليه أن يكون هو الإناء الضعيف الذي تعمل عن طريقه نعمة الله المخلصة.

هذا هو ما يريده الله: لا يريد قوتنا، بل ضعفنا الذي يلجأ إليه في حالة اليأس القاتل. لا يريد جيوشاً، بل شخصاً أو أثنين منتخبين، يتوقعون عظائم، ويتجاسرون على إتمامها. إنه كذب أن نقول بأن القدير يقف بجانب الجيوش الجرارة. فكل التاريخ يبين بأن النهضات التي غيرت وجه العالم قد تمت بخروج الله عن طريق أفراد قليلين، لم يتميزوا بمواهب بارزة، بل سلموا ذواتهم تسليماً كلياً للدوافع الإلهية. «وماذا أقول أيضاً؟ لأنه يعوزني الوقت أن أخبرت» عن أبطال المسيحية الذين صنعوا عظائم بنعمة المسيح (عب١١: ٢٢).

سلموا أنفسكم لله. إنني أوجه الحديث بصفة خاصة إلى الشبان الذين قد يقرأون هذه الكلمات. هنالك أخطاء يريد الله أن يصححها، ومظالم يريد أن يرفعها لسلامة البشرية وسعادتها يريد أن يخضعهم. لكنه يتطلب وسائط بشرية طاهرة نقية، صادقين وأمناء، تحرروا من سلطان الجسد وخاضعين خضوعاً مطلقاً تحت تصرفه. ليس أمراً ذا بال أن يكونوا قد ولدوا من آباء عظماء كيوناثان، أو حاملي الذكر كحامل سلاحه. فإن الله عن طريقهم يجرى خلاصاً عظيماً.

لم تتوفر لشاول، الملك المختار، رؤية كهذه، أو إيمان كهذا. لم يشعر بالصوت الإلهي يتكلم في داخله، بل كان يعتمد على تدخل الكاهن (ع١٩، ٣٦). كان يبدو من أقواله ومن

أعماله أنه يعتقد بأن النصرة تتوقف كلية على الجهود التي يبذلها هو ورجاله. وإذ منع استخدام المنعشات البسيطة، كالتي يقدمها العسل البري، خسر النتائج الكاملة لتدخل الله.

أيمكن أن يعقل بأن خلاص الله لشعبه كان يتوقف لو أنهم مدوا طرف النشابات التي كانت في أيديهم ليتذوقوا العسل البري؟ أنظر (ع٢٤-٣١).

لقد أظهر شاول، طوال اليوم، ولاسيما في هذا القسم (الحلف) الذي كان بلا معنى، والذي وضعه على الشعب، قاصداً عدم الإسراف في الوقت، لكنه في الواقع عرقل النتيجة الكاملة. في كل هذا أظهر شاول أنه لا يدري شيئاً عن تلك الفكرة التي أنعشت قلب ابنه النبيل، وهي أن الله كان يعمل بوسائط بشرية ليقتص من الجيش المهاجم.

٣. اتكل يوناثان على الله، ولم يخزيه الله:

الإيمان هو القوة التي لا تقهر، التي بها نحصل على معونة سلسة كاملة من النواميس والقوات، التي لا يعرفها الأشخاص العاديون. سبق أن قلنا أن هؤلاء الأشخاص العاديين يتصلون بالعالم الطبيعي وعالم العلم. أما نحن فنضيف إلى هذين العالم الروحي الأبدي. وهكذا نقدر أن نحصل على نفس النتائج، أفضل، بمساعدة الطاقات التي هي أعظم جداً من الطاقات العادية المستخدمة، كما أن الطاقة الكهربائية أقوى من طاقة الحصان أو البخار. كان هذا هو سر نجاح يوناثان.

وهكذا صعدا على سفح الصخرة الشديدة الانحدار. واتفقا على العلامة التي تبين أنهما يعملان وفق مشيئة الله، وأن الله لم يخزيهما (ع٦-١٠) إن قلب الإنسان، في بداية مخاطرته للسير في طريق الإيمان، يشتاق جداً إلى علامة تؤكد بأنه لا يتبع السراب، أو أنه منخدع بالأضاليل.

وقد أعطيت لهما هذه العلامة في أصوات الاستهزاء التي صدرت من طليعة الجيش، الذين هزأوا بفكرة الخوف من العبرانيين (ع١١)، حتى وإن نجحوا في تسلق الصخور. لقد قالوا «هوذا العبرانيين قد خارجون من الثقوب التي اختبأوا فيها. فأجاب رجال الصف يوناثان وحامل سلاحه وقالوا إصعدا إلينا فنعلكما شيئاً» (أو "لأننا نريد أن نتعرف بكما").

كانت هذه علامة السماء تحمل تأكيداً بأن «الرب قد دفعهم ليد إسرائيل» (ع١٠)، بالإيمان تمسك النفس باستجابة الله، مهما سألنا منه (١يو٣: ٢٢). لكن هذا يتوقف على إتمام الشرط الوحيد الجوهري للصلاة الناجحة الذي كثيراً ما تغاضينا عنه «كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه[٢] فيكون لكم» (مر ١١: ٢٤)

إن النفس التي تعتمد على الله لا يمكن أن تخزى. لما وصل الشابان ليبتا ويعلتيان القمة استخدما سلاحهما بدقة شديدة حتى أنهما ضربا "نحو عشرين رجلا" وسرى الارتعاد منهم إلى بقية الجيش الأصلي المتخلف، وإلى جماعة المخربين العائدين من غاراتهم الليلية.

لم يدرك الفلسطينيون أن هذين الشخصين، كانا وحدهما، لا يرافقهما أحد. لقد ظنوهما أنهما طليعة رجال خطرين جداً. وفجأة، وفي ذعر شديد، شك كل واحد في صاحبه بأنه متآمر عليه، "وإذا بسيف كل واحد على صاحبه، وكان اضطراب عظيم جداً"

وفي نفس الوقت ثار أيضاً العبرانيين على الفلسطينيين الذين كانوا متحالفين معهم منذ أمس وما قبله، أو الذين كانوا خاضعين تحت سلطاتهم. «وسمع جميع رجال إسرائيل الذي اختبأوا في جبل أفرايم أن الفلسطينيين هربوا فشدوا هم أيضاً وراءهم في الحرب» (ع٢٠-٢٢).

تطلع شاول من مرقبه في جبعة فرأى الذعر الشديد، «وإذا بالجمهور قد ذاب وذهبوا متبددين». ومن دون إبطاء أسرع هو جنوده وراء الأعداء الذين هربوا على عجل، نازلين إلى الوادي الطويل، «وعبروا بين آون»، وبيت حورون العليا والسفلى، لكي يدركوا حدود الفلسطينيين عند وادي أيلون. وكان شعب كل مدينة يمر بها هؤلاء الهاربون يجرون ورائهم، وينضمون إلى مطارديهم، وهكذا أخضع جداً كل الجيش الهارب، وخضب ألوف من الأبطال بدمائهم الأرض التي اضطهدوها بعنف. وهكذا خلص الله شعبه استجابة لإيمان يوناثان.

كانت الأوامر التي أصدرها الملك بتحريم الطعام على الجيش نتيجة مرعبة أولاً لأن الشعب قد أعيا وخارت قواه، وثانياً لأنهم "ثاروا على الغنيمة فأخذوا غنماً وبقراً وعجولاً وذبحوا على الأرض وأكل الشعب على الدم" دون أن يتحفظوا من الدم.

[٢] فآمنوا أنكم نلتموه "حسب الترجمة الإنكليزية "فآمنوا بأنكم تنالونه" حسب الترجمة اليسوعية

والأسوأ من هذا أنه عندما انتهى اليوم «سأل شاول الله فلم يجبه في ذلك اليوم». أدرك أن السبب في هذا خطية ارتكبت، وجب كشفها والتكفير عنها. لم يبحث عن هذه الخطية في قلبه حيث كان يجدها بكل تأكيد بل بحث عنها في الشعب المحيط به.

وأخيرا وقف هو ويوناثان أمام الشعب، على أساس أنهما أغضبا الله. وكان شاول –في حنقه – مستعداً أن يضحي بابنه.

لكن الشعب افتداه، إذ صرخوا قائلين "أيموت يوناثان الذي صنع هذا الخلاص العظيم في إسرائيل. حاشا. حي هو الرب لا تسقط شعرة من رأسه إلى الأرض. لأنه مع الله عمل هذا اليوم" (ع٤٥).

آه، إن سبب الفشل في ذلك اليوم كان يرجع بكل تأكيد إلى واحد من الأثنين (شاول ويوناثان)، لكنه لم يكن راجعاً لأي خطأ في يوناثان. كان شاول هو وحده الملوم. إنه لم يضيع فقط أعظم فرصة في حياته، لكنه كان يغلف نفسه بعدم الإيمان، والغيرة، والحسد، والطبع الكئيب الحزين، هذه كلها التي جعلت شمسه تغيب إذ كان لا يزال نهار.

تأملات هادئة بقلم: ماكنتوش

النظر إلى الرب

«فَقَالَ لَهُمَا: وَمَا هِيَ؟ فَقَالاَ: الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ. وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ» (لو٢٤: ١٩-٢١)

«وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وُجُوهَهُنَّ إِلَى الأَرْضِ، قَالاَ لَهُنَّ: لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لكِنَّهُ قَامَ! اُذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ» (لو٢٤: ٥، ٦)

بدلاً من الالتفات إلى الشهادة التي يعلنها الروح القدس في الكلمة اضطربت أفكارهم تحت وطأة تداعيات الظروف والأحداث التي أحاطتهما. وبدلاً من أن يثبتا بقوة على صخرة الإعلان الإلهي في الكلمة كانا يتطارحان وسط أمواج هائجة وعواصف الحياة. وفي كلمة؛ كانا في لحظة وقوع تحت قوة الموت حيث سيطر على أذهانهما ولا عجب إن كان قلبيهما يعتصران حزناً وكانا مكتئبين.

ألا يحدث لنا كلنا مثل هذا بأن نقع تحت وطأة وقوة أمور منظورة ووقتية بدلاً من أن نحيا بالإيمان في ضوء الأمور غير المنظورة والأبدية؟ نعم. حتى ونحن نعلن ونؤمن بالمخلص الذي قام – ونؤمن أننا متنا وقمنا معه – ويسكن فينا الروح القدس ألا يحدث أننا مرات كثيرة نضعف وننطوى على نفوسنا في ارتعاد؟ ألا نكون في مثل هذه المواقف في حاجة إلى اختبار قيامة المخلص؟

ألا يحدث غالباً حينما نكون معاً أو نسلك طريقنا تكون أحاديثنا دون ما يجب أن يكون؟ قد يكون سبب ذلك الاكتئاب الذي يعترينا أو أننا نضيع الوقت سدى تحت ضغط الظروف التي تحيطنا؛ الطقس، مشاهد في البلاد أو الحالة المادية، معاناتنا الصحيحة، صعوبات الحياة، أي شيء وكل شيء، وبالإيجاز: وليس ما يجب أن يكون.